المائة الرابعة

٧٦ — عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، أبو المُطَرِّف

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، أعظم بنى أمية بالمغرب سلطاناً ، وأفخمهم فى القديم والحديث شاناً ، وأطولهم فى الخلافة — بل أطول ملوك الإسلام قبله — مدة وزماناً .

وَلِىَ بقُرْطُبة يومَ الخميس مستهلَّ شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة ، عند وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد ، وتوفى فى ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة خمسين وثلاثمائة ، فكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام ، لم يبلغها خليفة قبله . وقارب أن يلحق فيها شأوَه القادرُ بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، المجتمع عليه بالمشرق فى آخر هذه المائة الرابعة ، فإنه بلغ فى الخلافة ثلاثاً وأربعين سنة — وقيل أقل — ثم ابنُه القائم بالله أبو جعفر عبد الله بن أحمد القادر ، بلغ فى ولايته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وأياماً . ومن هؤلاء العباسيين المتأخرين أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضىء

بالله أبى محمد الحسن ، بلغ فى ولايته سبعاً وأربعين سنة ، وبويع له فى [ذى] القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة[١] .

وقرأت فى كتاب أبى الحسين بن أبى السرور الروحى الإسكندرى فى أخبار ملوك العُبيدية[٢] / أن المستنصر بالله أبا تميم مَعَدَّ بنَ على بن الظاهر بن الحاكم [٥٦ - ب] بلغ فى ولايته بمصر ستين سنة وأشهراً ، فأربى على هؤلاء الخلفاء .

وتَسَمَّى الناصرُ عبدُ الرحمن بن محمد بأمير المؤمنين بعد سنين من خلافته ، لما ضَعُف سلطانُ العباسية بالمشرق ، وغلبت عليهم الأتراكُ ، وادعت الشيعةُ ماشاءت بإفريقية ، وساعدتهم عليه قبائلُ البربر وأصبح الناس فى الآفاق فوضى ؛ وكان مَن قَبْلَه من آبائه يُدعون بالأمراء .

وظَهَرَ لأول ولايته مِن يُمن طائره ، وسعادة جده ، واتساع ملكه ، وقوة سلطانه ، وإقبال دولته ، وخمود نار الفتنة — على اضطرامها بكل جهة —

---

(١) إليك تواريخ حكم أولئك العباسيين الثلاثة الذين يكادون يضاهون عبد الرحمن الناصر فى طول المدة :

أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق المقتدر : ١٩ رجب ٣٨١ — ١٠ ذى الحجة ٤٢٢ .

أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر : ١١ ذى حجة ٤٢٢ — ١٣ شعبان ٤٦٧ .

أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضىء : ٢ ذى قعدة ٥٧٥ — ٣٠ رمضان ٦٢٢ .

(٢) كذا ورد اسم الكتاب ومؤلفه ، ولم أعثر على ما يزيدنا معرفة بهذا المؤلف وكتابه . ولدينا فى تاريخ الفاطميين بهذا الاسم كتاب « أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم » لأبى الحسن على بن حماده الصنهاجى المتوفى عام ٦٢٨/١٢٣١ ، وله كتاب آخر هو « النبذ المحتاجة فى أخبار صنهاجة » . وقد نشر ثوندرهايدن كتاب أبى الحسن على بن حمادُه فى أخبار العبيديين سنة ١٩٢٧ فى باريس مع ترجمة فرنسية ، وأخطأ فجعل اسمه ابن حماد . ولا ينبغى الخلط بين هذا المؤلف وأبى عبد الله محمد بن حمادُه البرنسى السبتى ، وهو من أهل القرن السادس الهجرى ، ومن تلاميذ القاضى عياض ، وله كتاب « المقتبس فى مفاخر المغرب والأندلس » .

انظر مقال ليڤى پروڤنسال : نص جديد عن فتح العرب للمغرب لعبيد الله بن صالح بن عبدالحليم . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ . ص ٢٠٥ .

وانقياد العصاة لطاعته ، ما تعجز عن تصوره الأوهام ، وتكلّ فى تحبيره الأقلام . وقيض له من ابنه وولى عهده الحكَم المستنصر بالله ، المدعو بأمير المؤمنين بَعدَه ، من زان مُلكه ، وزاد فى أبهته ، وقام بأمره أحسن قيام ؛ فكمل جلالُه ، وجل كمالُه .

وكان الناصرُ — على علاء جانبه واستيلاء هيبته — يرتاح للشعر وينبسط إلى أهله ، ويراجع من خاطبه به من خاصته .

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج صاحب « كتاب الحدائق » : حدثنى أبو بكر إسماعيل بن بدر[1] ، أنه خاطب أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد ، رحمه الله ، فى غزاة كان آلى ألا يأنس فيها بمنادمة أحد حتى يفتتح معقلا ، فافتتح معقلا بعد آخر ، وتمادى على عزمه فى العزوف عن المنادمة ، فذكر أنه كتب إليه :

لقد حَلَّتْ حُمَيّا الراحِ عِندى وطابتْ بعدَ فتحك معقلين
وآذنَ كلُّ همٍّ بانفراجٍ وأن يقضى غريمٌ كلَّ دَينِ

قال : فلم يحركه ما خاطبتُه به ، فعاودته بالمخاطبة فقلت :

يا مَلِكاً رأيُه ضياءٌ فى كلِّ خطبٍ ألَمَّ داجِ
مَن لى بيومٍ به فراغٌ ليس أخو حَرْبِه بناجِ

(١) ذكره ابن الفرضى (رقم ٢١٤ جـ ١ ص ٦٢) : إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد مولى نعمةٍ لبنى أمية . من أهل قرطبة ، يكنى أبا بكر . وبعد أن ذكر شيوخه قال : إلا أن صناعة الشعر غلبت عليه وطارت باسمه وكانت ألصق به . وطال عمره إلى أن سمع بعض الناس منه وتسهلوا فيه . وولى أحكام السوق ، فحمد أمرُه فيها ، وتوفى فى أول ولاية المستنصر بالله سنة ٣٥١ .

وذكره أيضاً الضبى (رقم ٥٤٣ ص ٢١٥) وقال إنه كان أثيراً عند عبد الرحمن الناصر ، ثم أورد له بضعة أبيات رواها له أبو محمد على بن أحمد بن حزم .

بكل بيضاء مَن رآها يحسِبُها شعلةَ السراجِ
لا تنس مولاك فى وغاه واذكره فى حومة الهياجِ

[٥٧-١] / فذكر أنه جاوبه بقوله :

كيف وأنّى لمن يناجى من لوعة الهم ما أناجى
يطمع أن يستريحَ وقتاً أو يقتلَ الراحَ بالمِزاج ؟
لو حُمِّل الصخرُ بعض شَجْوِى عاد إلى رقّة الزجاجِ
كنت لما قد علمتَ الهَوْ لَ إذْ أنا مما شكوتُ ناجِ
فصرتُ للبيْن فى علاجٍ طَمَّ وأربَى على العلاجِ
الوردُ مما يهيج حُزنى ويبعث الوسنُ اهتياجى
أرى ليالى بعدَ حُسْنٍ أقبحَ من أوجهٍ سماجِ
لا تَرْجُ مما أردتَ شيئاً أو يؤذن الهمُّ بانفراجِ

٧٧ — ابنه الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله ، أبو العاصى

وَلِىَ بعده الخلافة وهو ابن سبع وأربعين سنة — وقيل ابن ثمان وأربعين سنة — وشهرين ويومين ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من رمضان سنة خمسين وثلاثمائة ، وتوفى لليلتين خلتا من صفر سنة ست وستين ، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام ؛ استغرقت خلافةُ أبيه الطويلة عمرَه ، حتى كان يقول له فيما يُحكى عنه : « لقد طوّلنا عليك يا أبا العاصى ! »

وكان حسن السيرة فاضلا عادلا مشغوفا بالعلوم ، حريصاً على اقتناء دواوينها ، يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان ، ويبذل فى أعلاقها ودفاترها أنفس

الأثمان . ونفَق ذلك لديه ، فحُملت من كل جهة إليه ، والمَلك سوقٌ ، ما نفق فيها جُلب إليها ، حتى غصَّت بها بيوتُه ، وضاقت عنها خزائنه .

قال ابن حيّان عند ذِكر الحَكم : كان من أهل الدين والعلم ، راغباً فى جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم ، باحثاً عن الأنساب ، حريصاً على تأليف قبائل العرب و إلحاق من درسَ نسبُه أو جَهِلَه بقبيلته التى هو منها ، مستجلباً للعلماء ورُواة / الحديث من جميع الآفاق ، يشاهد مجالس العلماء ويسمع [٥٧ - ب] منهم ويروى عنهم .

وكان أخوه عبدالله — المعروف بالولد[١] — على مثل هذه الحال من المحبة فى العلم والعلماء والرواية ، وتوفى فى حياة أبيه مقتولا فتُصُيِّرَتْ كتبُه إلى أخيه الحَكم .

ولم يُسمع فى الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحَكم فى اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمُّم بها . أفاء على العلم ، ونوَّه بأهله ، ورغَّب الناسَ فى طلبه ، ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية عنه ، ومنهم أبو إسحاق محمد ابن القاسم بن شعبان[٢] بمصر ، وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى وغيرهما ؛ جرى ذِكر هذا فى كُتب تواريخهم .

وبعث إلى أبى الفرج الأصبهانى القرشى المروانى ألف دينار عيناً ذهباً ، وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذى ألفه فى الأغانى ، وما لأحد مثله ،

---

(١) الولد هذا مصطلح أندلسى لا يطلق إلا على الأمراء ، وكثيراً ما يختص به ولى العهد .

(٢) كبير فقهاء المالكية فى مصر فى أواخر العصر الإخشيدى ، وأصله أندلسى من قرطبة ، وقد أرسل إليه عبد الرحمن الناصر عشرة آلاف دينار ليفرقها فى شيوخ المالكية ، فأخرج الإخشيد مثلها (كما يقول ابن الزيات فى الكواكب السيارة) ليفرقها فى شيوخ الشافعية . وكان يرجو الله أن يميته قبل دخول الفاطميين مصر ، فمات قبل ذلك بثلاث سنوات .

ووصَل بذلك المال رَحِمَه ، إذ كان قسيمَه فى المروانية ، ومن ولد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالمشرق ، فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق ، أو ينسخه أحد منهم .

وألّف له أيضاً أنسابَ قومه بنى أمية موشحةً بمناقبهم وأسماء رجالهم ، فأحسن فيه جدا ، وخلد لهم مجداً . وأرسل به إلى قرطبة وأنفذ معه قصيدة حسنة من شعره — وكان محسناً — يمدحه بها ويذكر مجد قومه بنى أمية وفخرهم على سائر قريش ، فجدَّد له عليه الصلةَ الجزيلةَ .

وكان له ورّاقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ، ورجالٌ يوجههم إلى الآفاق عنها[1] . ومن ورّاقيه ببغداد محمد بن طَرْخان ، ومن أهل المشرق والأندلس جماعةٌ . وكان مع هذا كثيرَ التهمُّم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها ، وقلما تجد له كتاباً كان فى خزانته إلا وله فيه قراءة ونظر من أى فن كان من فنون العلم : يقرؤه ويكتب فيه بخطه — إما فى أوله أو آخره أو فى تضاعيفه — نَسبَ المؤلف ومولدَه ووفاتَه والتعريفَ به ، ويذكر أنسابَ الرواة له ، ويأتى من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده ، لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن . وكان موثوقاً به مأموناً عليه . صار كلُّ ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ، ينقلونه من خطه ويحاضرون به .

[٥٨-١] قلت : وقد/ اجتمع لى من ذلك جزء مفيد مما وُجد بخطه ، ووجدتُ أنه يشتمل على فوائد جمة فى أنواع شتى .

قال[2] : وكان قد قيَّد كثيراً من أنساب أهل بلده ، وكلف أهلَ كُوَر الأندلس أن يُلْحِقوا كلَّ عربى أُخْمِلَ ذِكْرُه قبل ولايته ، وأن يصحِّح

(١) هنا يحسن أن نقرأ : باحثين عنها .

(٢) يستمر ابن الأبار فى الرواية عن ابن حيان .

نسبَهم أهلُ المعرفة بذلك ، ويؤلَّف من الكتب[١] ، ويُرَدَّ كل ذى نسب إلى نسبه ، وفرج ذلك بالعلم فتم له من ذلك ما أراد ، ونفع الله بكرم قصده البلاد والعباد .

وقال أبو محمد بن حزم فى « كتاب جمهرة الأنساب » من تأليفه ، وذَكر الحَكَمَ : اتصلت ولايته خمسة عشر عاماً فى هدوء وعلو . وكان رفيقاً بالرعية ، محبًّا فى العلم ، ملأ الأندلسَ بجميع كتب العلوم . وأخبرنى « تليد »[٢] الفتى — وكان على خزانة العلوم بقصر بنى مروان بالأندلس — أن عدد الفهارس التى كانت [فيها] تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، فى كل فهرسة خمسون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط .

قال : ولم يعقب إلا هشاماً الوالى بعده ، وقد انقرض ولا عقب له ولا لأبيه[٣] .

وذكر الحُمَيْدِىّ فى تاريخه أن الحكم رام قطع الخمر من الأندلس ، فأمر بإراقتها وتشدد فى ذلك ، وشاور فى استئصال شجرة العنب من جميع أعماله ، فقيل إنهم يعملونها من التين وغيره ، فتوقف عن ذلك .

ومن شعره :

عجبتُ ، وقد ودعتها ، كيف لم أمُتْ ... وكيف انثنتْ عند الفراقِ يدى معى

فيامقلتى العَبْرَى عليها اسكُبى دماً ... ويا كبدى الحَرَّى عليها تقطَّعى

---

(١) المراد أن الحكم المستنصر أمر أن تصحح أنساب الناس وتكتب بحسب ما فى كتب الأنساب

(٢) فى جمهرة الأنساب لابن حزم (تحقيق ليڤى پروڤنسال) : تأييد الفتى (ص ٩٢) وهذه العبارة كلها واردة عنده .

(٣) عبارة ابن حزم (الجمهرة ص ٩٢) : فأما الحكم المستنصر فلم يعقب إلا هشاماً الوالى بعده ، ولى الأمر وهو ابن أحد عشر عاماً . وكان متغلَّباً غليه ، لا أمر له ولا نهى ، تلقب بالمؤيد ، وخُلع المرة بعد المرة ، وقد انقرض ، ولا عقب له .

وكان الحكم قد أنجب قبل هشام غلاماً سماه عبد الرحمن ولد سنة ٣٥١/٩٦٢ ، ومات طفلا .

قال ابنُ حيّان : وعلى إطباقِ أهلِ وقته فى نَزارة جَنَى أدبه ، فقد أنشدنى الفقيه أبو على الحسن بن أيوب الحداد[١] له بيتى شعر ارتجلهما يوم ودَّعَتْه حظيتُه أم هشام ، لما خرج لغزوته الفذة المعروفة بشَنْتِ اشتِيبَنْ[٢] ، فأكثرت من التعلق به والوَلَهِ لفراقه ، وكان شديد الكلف بها ، وذكر البيتين . قلت : وقد قرأتُ فى ما يُروى لِمِهْيار الدَّيْلَمِيّ :

ومن عجبٍ أنى أحنُّ إليهمُ ... وأسألُ شوقاً عنهمُ ، وهمُ معى

وتبكى دماً عينى ، وهمْ فى سوادها ... ويشكو الهوى قلبى ، وهم بين أضلُعى

[٥٨ - ب] /فيامُقلتى العَبْرَى أفيضى عليهمُ ... ويا كبدى الحَرَّى عليهمْ تقطَّعى

فلا أدرى : أوافقَ الحكمَ فى بيته الأخير أم سرقه وغيَّره كما ترى ؟

وقال أبو الطاهر محمد بن يوسف التيمى (المعروف بالاشتركونى[٣] ، صاحب

---

(١) ذكره ابن بشكوال فى « صلته » (رقم ٣٠٦ = ١/١٣٦ - ١٣٧) : الحسن ابن أيوب بن محمد بن أيوب الأنصارى ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا على ، ويعرف بالحداد . وبعد أن ذكر شيوخه قال : وجمع مسائله فى أربعة أجزاء . روى عنه جماعة من كبار العلماء منهم أبوعمر بن مهدى ، وقال : كان من أهل العلم بالمسائل والحديث ، مقدماً فى الشورى على جميع أصحابه لسنه ، راوية للحديث واللغات ، وافر الحظ من الأدب ، حسن الشعر فى الزهد والرثاء وشبهه ، ذا دين وفضل . ولد فى المحرم سنة ٣٣٨ ، وتوفى ودفن ضحوة يوم السبت خلف باب القنطرة فى رمضان سنة ٤٢٥ .

(٢) رسم الاسم هنا دقيق ، لأنه بالإفرنجية San Estéban ، وفى إسبانيا أكثر من موضع بهذا الاسم ، ولكن المراد هنا San Estéban del Mall قرية صغيرة فى مديرية وشقة Huesca تابعة لمركز Benavarre . وكانت غزوة شنت اشتيبن سنة ٣٥٢/ ٩٦٣ ولم يكن هشام قد ولد بعد . وأم هشام المذكورة هنا هى صبح البشكنسية .

(٣) هذه الأبيات لا وجود لها فى ديوان مهيار .

(٤) ترجم له ابن بشكوال فى الصلة (رقم ١١٧٥ جـ ٢ ص ٥٣٩) ولم يذكر نسبته هذه ، وإنما اكتفى بقوله : محمد بن يوسف بن عبد الله التيمى من أهل سرقسطة ، سكن قرطبة ، يكنى أبا الطاهر . وبعد أن ذكر شيوخه قال : وكان مقدماً فى اللغة والعربية ، شاعراً محسناً ، =

« المقامات اللزومية » ، فى ما جمع من شعر أبى بكر بن عمار وزير بنى عباد) :
« ومما ينسب إليه . . . » ، وذكر البيتين :

* « ومن عجبى أنى أحن إليهم » *

والذى بعده ، لم يزد عليهما .

وقرأت فى « كتاب الحدائق » لابن فرج قوله — بعد إيراده جملة من أشعار الخلفاء الأموية — : « وهم يجلُّون عن الشعر أقدارهم ، كما يرتفعون عن أن يُروَى عنهم أو يُؤخذ من أقوالهم ، وإنما ينبسطون به فى سرائرهم فليس يظهر عليهم منه إلا الشاذ القليل ؛ ولعل ما سقط عنا أفضل مما سقط إلينا . فأما أمير المؤمنين المستنصر بالله — أطال الله بقاءه — فهو فوق أن يعلن به أو ينشر اسمَه عليه ، ولعل له منه ما لا نعرفه ، فأما الأدوات التى يقال بها ، بل التى يحتاج كل علم إليها ، فهى معه بأزيد مما كانت لأحد قبله أو تكون لأحد بعده » .

وهذا الذى قال غيرُ مسلَّم له ولا مقبول منه ، بل إكثار الملوك من الشعر دالٌّ على قوة عارضتهم وسعة ذرعهم ، وحاكم بمَعَانة مادتهم وتمكن تصرفهم ، ولولا ذلك لما فضل ابن المعتز أهل بيته بالإبداع فى أنواع القريض ، وكذلك تميم بن المعز المتقيِّل أثرَه فى الإكثار ، والإتيان بما قُيِّد وخُلِّد من بدائع الأشعار . ولا أبلغ من الاحتجاج ، وأقطع للخصم المتناهى اللجاج ، مما هو عليه مولانا من تحبير الغرائب ، وتسيير الكلم الغر أثناء المشارق والمغارب ، وهو البرهان على رحب المجال ، وتحصيل أسباب الفضل وأشتات الكمال ، لا زال سلطانه يُبْخَع له بالطاعة ويُدَان ، وزمانُه يُشرِق بمحاسنه الباهرة ويزدان .

= وله مقامات من تأليفه أخذت عنه واستحسنت . توفى فى قرطبة فى جمادى الأولى من سنة ٥٣٨ .

واشتركونة Estercuel وتكتب أيضاً اشترقونة ، مدينة فى مديرية تيروال Téruel فى إسبانيا ، وتبعد عن القاعدة بمائة وعشرين كيلومتراً ، وهى تابعة لمركز Aliaga الإدارى ، وهى مرتفعة تقوم على سفح جبل سانتاآنا Pena de Santa Ana

٧٨ – عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، أبو محمد

قتله أبوه عبد الرحمن لمنافسته أخاه الحَكم ولىَّ عهده ؛ وكان من نجباء أولاد الخلفاء ، محبا فى العلم والعلماء ، سمع من جملة منهم ، وحدث فى اللف عنهم . وله تواليف تدل على علمه وفهمه ، وتشهد بشرف ذاته وكمال أدواته ، منها [٥٩-١] « كتاب العليل والقتيل فى أخبار وَلدِ العباس » انتهى به إلى خلافة الراضى / ابن المقتدر ؛ ومنها « المسكتة فى فضائل بَقِىّ بن مَخْلَد » . قال أبو محمد بن حزم : كان فقيها شافعيا شاعراً أخباريا متنسكاً ؛ ومن شعره :

أما فؤادى فكاتمٌ ألمَهْ لو لم يَبُحْ ناظرى بما كتمَهْ
ما أوضحَ السُّقْمَ فى ملاحظ مَنْ يهوَى ، وإن كان كاتماً سَقَمَهْ
ظللتُ أبكى ، وظلَّ يعذُلُنى مَن لم يقاسِ الهوى ولا علمَهْ
إليك عن عاشقٍ بكى أسفاً حبيبَه فى الهوى وإن ظلمَهْ
ظلتْ جيوشُ الأسى تقاتلُهُ مذ نذرتْ أعينُ الملاحِ دمَهْ

وحكى أبو عمر بن عفيف[1] فى تاريخه الذى هذَّبه ابنُ حَيّان وانتخبه ، قال : وكان الأمير الحَكم بن الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين ، وأخوه عبد الله هذا ، يتباريان فى طلب العلم ، ويتناغيان فى جمعه ، ويتهادران إلى اصطناع أهله واختصاص رجاله وإدناء منازلهم والإحسان إليهم . فكان ابن عبد البر

---

(١) أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف بن مَرْيُول بن حاتم بن عبد الله الأموى (٣٠٨ – ٤٢٠/٩٥٩ – ١٠٢٩) ، ترجم له ابن بشكوال فى « الصلة » (رقم ٧٣) وذكر مؤلفاته وفضائله ، وقد نقلنا هذه الترجمة فى كتابنا « تاريخ الفكر الأندلسى » الذى ترجمناه عن آنخل جنذالث پالنثيا (ص ٤٢٣) . وأشرنا إلى اعتماد ابن حيان فى تأليف تاريخه على كتاب لابن عفيف فى التاريخ لم يذكره ابن بشكوال (ص ٢٠٨) .

— يعنى أحمد بن محمد ، صاحب التاريخ[١] — ممن تميز فى حزب عبد الله واختص به حتى لا يكاد يفارقه ، فسُعى إلى الخليفة الناصر لدين الله بابنه عبد الله هذا ، ورُفع عليه أنه يريد خلعه ويدعو إلى القيام معه ، وأن جماعات من طبقات الناس دخلوا فى ذلك معه ، وأنهم على أن يثوروا به فى يومٍ عيدٍ قد اقترب إليه . فأرسل الناصرُ فى الليل بمن قبض على ولده عبد الله وحبسه ، فألفى عنده فى تلك الليلة هذا الفقيه أحمد بن محمد بن عبد البر وفقيهاً آخر من أصحابه يعرف بصاحب الوردة — وهو أحمد بن عبد الله بن العطار[٢] — كانا باتين عنده ، فأُخذا وحُملا إلى الزهراء حَضْرة أمير المؤمنين الناصر بأسفل قرطبة ، فأمر بسجنهما وعرّف الوزراء بخبر ولده عبد الله ، وكشف لهم عظيم ما أراد أن يحدثه عليه وعلى المسلمين فيه وتبرأ منه . وأعلمهم بمسارعته إلى القبض عليه ، ووجدان رسُله هذين الفقيهين النطِفين[٣] باتين عنده وقال لهم : « ما أعجب إلا من مكان ابن العطار عنده ! ما الذى أدخله فى هذا مع غباوته وقلة شره ؟ وأما ابن عبد البر فأنا أعلم أنه

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد البر فقيه ومؤرخ معاصر لعبد الرحمن الناصر ، وهو غير أبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى . ترجم له ابن الفرضى (رقم ١٢٠ جـ ١ ص ٣٧) وذكر فى مقدمة « تاريخ علماء قرطبة » أنه نقل عنه كثيراً فى كتابه . وقد سمع ابن عبد البر هذا من أجلاء شيوخ قرطبة من أمثال ابن لبابة وأسلم بن عبد العزيز وقاسم بن أصبغ ، وكان فقيهاً نبيلا متصرفاً فى فنون العلم ، وكان علم الحديث أغلب عليه ، وله كتاب مؤلف فى « الفقهاء بقرطبة » وهو الذى استعان به ابن الفرضى فى تأليف كتابه . وقال ابن الفرضى أنه توفى فى السجن لليلتين بقيتا من رمضان سنة ٣٣٨ ، أخبرنى بذلك المعيطى . وقال الرازى : توفى يوم الخميس لليلة بقيت من رمضان فى السجن . غمص فى قصة العاق عبد الله بن الناصر .

(٢) أحمد بن عبد الله بن سعيد الأموى ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن العطار ، ويقال له صاحب الوردة ، يكنى أباعمر ، حدث عن محمد بن وضاح وغيره . توفى فى شوال سنة ٣٤٥ (ابن الفرضى ، رقم ١٥٨ جـ ١/٤٦) .

ويفهم من هذا أن عبد الرحمن الناصر عفا عنه ، لاستبعاده أن يكون له ضلع فى المؤامرة ، إذ أنه توفى بعدها بسبع سنوات .

(٣) نطِف : اتهم بريبة ، تلطخ بعيب ، فسد ، بشم من أكل ونحوه .

[٥٩ - ب] الذى زيَّن لهذا العاق[1] ذلك ليكون قاضى الجماعة / ويأبى الله ذلك » ، فهنأوه بالسلامة ودعوا الله له . وعزم الناصر على أن يعاقب ابنَ عبد البر يومَ العيد — عيد الأضحى — الذى كان التدبير عليه فيه ، فأصبح ابنُ عبد البر يومَ العيد نفسه ميتاً فى السجن ، وأُسلم إلى أهله فدُفن بمقبرة الرَّبَض ؛ وكان ذلك فى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

٧٩ — عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر ، أبو الأصبغ

كان أديباً شاعراً ، ظهرت منه نجابة فى صغره . وحُكى أن أول لوح كتبه عند دخوله الكتاب بعث به إلى أخيه الحكم المستنصر ، وكتب إليه من شعره :

هاك يا مولاى خَطًّا مَطَّهُ فى اللوح مطّا
ابنُ سبعٍ فى سِنِيهِ لم يُطِقْ للوحِ ضبطَا
دمتَ يا مولاى حتى يُولد[2] ابنُ ابنك سِبْطَا

٨٠ — محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر

هو والد الخليفتين فى الفتنة : أبى المُطَرِّف عبد الرحمن الملقب بالمرتَضى ،

(١) هذه الكلمة واردة فى الأصل واضحة هكذا . ولكن دوزى جعلها العلق (ص ١٠٦) دون مبرر . وقد جعل كوديرا الكلمة : الغاق !

(٢) الأصح هنا أن يقال : « يلد ابن ابنك سبطا » ، لأن الشطر كما هو فى الأصل يعنى أن الذى سيولد سيكون حفيداً للحكم المستنصر ، أما على اقتراحنا فإن المولود سيكون ابن حفيد الحكم ، أى سبطه . ويمكن أن تقرأ أيضاً سَبطاً بفتح السين ، والمراد فارها .

وأبى بكر هشام الملقب بالمعتدّ ، آخر خلفاء بنى أمية بالأندلس ؛ على رحيله[1] انقرضوا فلم يعد مُلكهم إلى اليوم . وَلِىَ فى شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، وكان أسنّ من أخيه المرتضى بأربعة أعوام ، مولده فى سنة أربع وستين وثلاثمائة ، وأقام فى خلافته متردداً بالثغور ثلاثةَ أعوام إلا شهرين ، ودخل قرطبة يومَ مِنًى ثامنَ ذى الحجة سنة عشرين ، لم يبق إلا يسيراً حتى قامت عليه فرقة من الجند فخُلع . وانقطعت الدعوةُ الأموية من يومئذ ، واستولى على قرطبة أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور الوزير ، ثم ابنُه أبو الوليد محمد بن جهور .

ومن شعر محمد بن عبد الملك قوله يفتخر :

ألسنا بنى مروان كيف تبدلتْ بنا الحالُ أو دارت علينا الدوائرُ ؟
إذا وُلد المولودُ منـــا تهللتْ له الأرضُ واهتزت إليه المنائرُ

/ وقد أنشد أبو منصور الثعالبى فى « اليتيمة » من تأليفه هذا الشعر ونسبه [٦٠-١] إلى الحكم المستنصر بالله ، وزعم أن ذلك من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر

(١) فى الأصل : رجله ، ومعناها على إثره أو بعده . والمعروف أن هشاماً المعتد - أو هشام الثالث - آخر خلفاء بنى أمية فى الأندلس أعلن خليفة فى ربيع الثانى ٤١٨/ يونيو ١٠٢٧ . وكان يعيش منذ مقتل أخيه عبد الرحمن الرابع الملقب بالمرتضى حياة خمول فى حماية عبد الله بن قاسم الفهرى صاحب البونت Alpuente شمالى غربى بلنسية ، ولم يدخل هشام قرطبة إلا بعد عامين فى ٨ ذى حجة ١٨/٤٢٠ ديسمبر ١٠٢٩ واستوزر رجلا يسمى حكم بن سعيد ، ولم يستقم أمره ، إذ ظلت الفتنة ضاربة أطنابها ، وقام عليه ينافسه أمير أموى آخر يسمى أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان ، ولكن هذا الأخير قتل فى ١٢ ذى حجة ٣٠/٤٢٢ نوفمبر ١٠٣١ ، وعلى إثر ذلك قرر أبو الحزم بن جهور مع رؤساء قرطبة إخراج بقية الأمويين من البلد والمناداة بنهاية حكمهم فيه . وكان هشام المعتد وسط هذه الفوضى قد لجأ إلى بيت ملحق بالجامع واختبأ فيه مع بعض عياله ، وقضوا ليلتهم الأخيرة فى عاصفة أجادهم فى ظلام لا تضيئه إلا شمعة متهافتة ، وفى الصباح رحل عن قرطبة مع أهله ، واحتمى بعض الوقت فى حصن قديم ، وانتهى إلى لاردة حيث قضى بقية أيامه فى كنف سليمان ابن هود .

يفتخر . وهذا من أغلاط أبي منصور وأوهامه الفاحشة : حكى — لبُعد مكانه — ما لم يحقق ، وروى عمن لا علم له بشأنه ما لم يضبط . ومثل هذا النظم الفائق لم يكن ليغيب عن ابن فرج صاحب « كتاب الحدائق » ، و [لم يكن ليغيب][1] أيضاً عن أبي مروان بن حَيّان — جُهَيْنة أخبار المروانية ومؤرخ آثارها السلطانية — فكيف يصح ذلك [والأول منهما][2] كما تقدم ينفي عنه الشعر ، والآخرُ يثبت له منه النزر ؟ على أن محمداً هذا المنسوبَ إليه ليس في أدباء أهل بيته بمشهور ؛ وعلى كل حال فلا معنى للفظ أبي منصور .

٨١ — عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر ويعرف بابن القُرشية

كان من ذوى القعدد في بني مروان ؛ وأبوه أبو الحكم المنذر هو الذى اشتهرت معرفته بـ « ابن القُرَشية » ، لأن أمه فاطمة بنت الأمير أبي الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن[3] ، حظيت بنكاح الناصر عبد الرحمن بن محمد وولدت له ابنَه المنذر فسمته باسم أبيها ، فوَلد عبد العزيز هذا ، وكان له حظ وافر من الأدب وحسن الشعر . ذكره أبو الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بحبيب العامرى في كتابه « البديع في فصل الربيع » ، وأنشد له في البهار ، قال — وهو من التشبيهات العقم :

---

(١) أضفت هذه العبارة للسياق .

(٢) أضفت هذه العبارة أيضا للسياق ، والأول منهما هو ابن فرج ، وقد سبق أن روى له ابن الأبار عبارة ينزه الحكم فيها عن قول الشعر .

(٣) المراد عبد الرحمن الأوسط .

كأن الثرى سِترٌ تَمدُّ خلالَه بأكؤسِ راحٍ راحَهُنَّ الكواعبُ
يُستَّرن من فرط الحياء معاصماً بأكمامهن الخضرِ عمن يراقبُ[1]

وأنشد لأبى عمر يوسف بن هارون الرمادى من قصيدة أمأى[2] فيها ، يمدح ابن القرشية هذا ويصف أزهار الربيع :

تأمل بأثْرِ الغَيْمِ من زهرة الثرى حياةَ عيونٍ مُتْنَ قبل التنعُّمِ[3]
كأن الربيعَ الطلقَ أقبل مهدياً بطلعة معشوقٍ إلى عينِ مغرمِ
تعجبتُ من غوص الحَيَا فى حشا الثرى فأفشى الذى فيه ولم يتكلمِ[4]
/ كأنَّ الذى يُسقَى الثرى صِرفُ قهوةٍ تنمُّ عليه بالضمير المكتَّمِ [٦٠ - ب]
أرى حسناً فى صفحةٍ قد تغيرتْ كبِشرٍ بدا فى الوجه بعد التجهمِ
ألا يا سماءَ الأرضِ أعطيتِ بهجةً تطالعُنا منها بوجهٍ مقسَّمِ

---

(١) ورد هذان البيتان فى كتاب « البديع فى وصف الربيع » لأبى الوليد إسماعيل بن عامر الحميرى (توفى حوالى ١٠٤٨/٤٤٠) بتحقيق هنرى بيريس ، الرباط ١٩٤٠ ، ص ٩٨ .

وقد ترجم له ابن الأبار فى التكملة (القطعة التى نشرها محمد بن شنب فى الجزائر وفيها من حرف الألف إلى حرف الجيم الذى تبدأ به النسخة التى حققها كوديرا ونشرت فى مجلدين فى المكتبة الأندلسية) ، رقم ٤٧٤ ص ٢١٩ وليس فى هذه الترجمة من جديد إلا قوله إن أباه كان يلقب بحبيب وأنه أخو أبى زيد بن محمد بن عامر شيخ أبى بكر بن العربى .

وكتاب « البديع فى وصف الربيع » ويقال أيضا « فى فصل الربيع » و « فى وشى الربيع » كتاب فريد فى بابه ، إذ أن أبا الوليد جمع فيه طائفة كبيرة من شعر الأندلسيين فى الربيع وأزهاره . وقد جعله أبوابا اختص كل زهرة بواحد .

(٢) أمأى أى جعل أبياتها مائة .

(٣) أورد هذه الأبيات أيضا أبو الوليد إسماعيل الحميرى فى « البديع فى وصف الربيع » ص ١٢ . وقد ورد لفظ « التنعم » فى الأصل : التغيم ، فصوبناه .

(٤) بعد هذا البيت أقحم الناسخ بيتا سبق أن ورد فى شعر عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، وهو :

ظللت أبكى وظل يعذلنى من لم يقاس الهوى ولا علمه

وإن قالتِ الأرضُ المنعَّمُ روضُها ؛ «لىَ الفضلُ فى فخرى عليك»، فسلِّمى
فخُضرةُ ما فيها تفوقُك خُضرةً ونُوّارها فيها ثواقبُ أنجمِ
وإن جئتها بالشمس والبدر والحيا مفاخرةً ، جاءت بأسنى وأكرمِ
بعبد العزيز ابن الخلائف والذى جميعُ المعالى تنتمى حيث ينتمى[1]

٨٢ — محمد ابن الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام ، أبو عبد الله

كان من [أكمل] رجال البيت الأموى خلقاً وعقلا وأدباً تاما وحظا من الشعر الجيد ، وكانت أختُه لأبيه فاطمةُ عند الناصر عبد الرحمن بن محمد ، فحظى بمصاهرته ؛ واعتُبِط فى خلافة الناصر فتوفى للنصف من ذى القعدة سنة ست عشرة وثلاثمائة . وهو القائل :

بنفسى وأهلى مَن بذلتُ له ودى ومَلَّكْتُه رِقِّى على القُربِ والبعدِ
وأبغضتُ فيه كلَّ خِدْنٍ مناصحٍ وأبديتُ للعذال فى عشقه صَدِّى
ولم أنصرف فيه إلى قول كاشحٍ وأصررتُ فى حُبِّيه إصرارَ ذى الحقد

(١) علق أبو الوليد الحميرى على هذه الأبيات بقوله (ص ١٢ — ١٣) : «ودخوله فى هذا الموضع إلى المدح ، ومفاخرته بين السماء والأرض من المعانى التى سبق فيها ، واستولى على الأمد بها . وقوله :

* كأن الذى يسقى الثرى صرف قهوة *

البيت ، شبَّه فيه إفشاء الأرض نوارها وخضرتها بالمطر بإفشاء المرء أسراره المكتومة بالقهوة . وقوله : «ينم» مستقبل من النميمة ، يقال : ينم بكسر النون وضمها ، والكسر أفصح . وقوله : «بوجه مقسم» أى محسَّن ، من القَسام وهو الحسن . وقوله : «فسلمى» أراد : فأذعنى لها ، وأقرى بفضلها .

سقانى بعينيه الهوى ، وبكفه سُلافاً ، وحيّانى بها ناقضَ العهد

وله :

طال اشتياقى إلى من كنتُ آلَفُهُ فالعينُ بالدمع ما تنفكُّ تَذْرفهُ
اعتضتُ مِن قربِ من أهوى زيارتَهُ مَن كنتُ أكرهه جُهدى وأقذفهُ
وصار مَن كنتُ أشناهُ وأبعِدهُ مكانَ مَن كنتُ أهواه وألْطِفهُ
/فالنفسُ فى قلقٍ ، والعينُ فى أرقٍ والقلبُ فى حُرَقٍ مما يُخَلِّفُهُ [٦١-١]
مَن رامَ صرفَ محبٍّ عن أحبتهِ فإن قلبىَ مما لستُ أصرفهُ

٨٣ ــ الحكم بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام

كان من نبهاء قومه المروانيين بقرطبة ، وكان له طبع معين فى قرض الشعر . وهو القائل فى ابن مات له ، أنشده ابن حَيّان :

عينى تجود بمسكوبٍ ومُهْراقِ فالحمد لله ، ما للموت مِن باقِ
وكيف أبقَى بلا نورٍ ، بلا بصرٍ أم كيف ينبُتُ لحمٌ زال عن ساقِ ؟
لا يبعِدَنْكَ بُنَىَّ اللهُ إنكَ قد لاقيتَ ما كلُّ مَن فى ظهرها لاقِ

٨٤ — عمر بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن

أخو الحكم المذكور ، كان من أهل الأدب والشعر . وهو القائل يرثى أباه ، وتوفى والناصر غائب فى غزاته سنة خمس عشرة وثلاثمائة :

لِفقدِكَ تنهَلُّ العيونُ وتَدمَعُ وتنهدُّ أركانُ المعالى وتخشَعُ
ويُعوِلُ مَن قد كان بالأمس ضاحكاً لغَفْلتهِ فى ظلِّ نُعماك يرتَعُ
ألا أيها القبرُ الذى ضم جسمَه سقاكَ من الأنواء هَتّانُ مُمْرِعُ
ولَقّى كريماً فيك رَوْحاً ورحمةً مليكٌ إذا ما شاء يعطِى ويمنعُ
وكانت له كفٌّ يفيضُ نَوالُها مدى الدهر عن تَسْكابها ليس تُقلِعُ
وكانت له جَفْنٌ تجافَى عن الكرى ونفسٌ تُناجى اللهَ والناسُ هُجَّعُ
وصوم وتسبيح وذكر وخشيةٌ وطول صلاة أجرها لا يُضَيَّعُ
بكيتُكَ إشفاقاً عليكَ وحسرةً لعل البكا من شدة الوَجد ينفعُ
فلستُ لشىء بعدَ فقدِكَ فارحاً ولا لمصابٍ بعد فقدكَ أجزعُ
عليكَ سلامُ الله من ذى مصيبةٍ له مهجةٌ نحو المنايا تَطَلَّعُ

٨٥ — /عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز [٦١ - ب]
ابن أمية بن الحكم الربضى ،
أبو بكر ، الملقب بالحجر

ويقال له البِطْرَ شَك[1] بالعجمية ، ومعناه الحجر اليابس .

---

(١) البِطْرَ شَك — كما هو واضح من كلام ابن الأبار — لفظان إسبانيان : Piedra Seca . وقد قال روى Romey فى تاريخه (ج ٤ ص ٣٧٨) أنه يقابل اللاتينية Petra Sicca ، ولكن دوزى رجح أنها تقابل اللفظين الإسبانيين اللذين ذكرناهما . وقال دوزى أيضاً أن عبد الله ابن عبد العزيز المروانى ربما لقب بالحجر اليابس لبخله . انظر :

R. DOZY, *Rechèrches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le Moyen Age* (Leyde, 1849) 1,273.

وهى الطبعة الأولى من أبحاث دوزى المعروفة ، وتختلف فى فصولها وترقيم صفحاتها عن الطبعتين الثانية والثالثة . والأخيرة هى الجارية فى أيدى الناس اليوم .

وقد ذكر دوزى — فى فصل خاص بترتيب صفحات نسخة الحلة السيراء التى نُقلت عن أصلها فى الإسكريال للمكتبة الأهلية فى باريس بناء على طلب المستشرق كوندى — أن مجلدها قدم بعض الأوراق على بعض فاختلطت ترجمة عبد العزيز المروانى هذا بترجمة غيره ، وغلط كوندى فى متابعتها دون أن يتنبه إلى الخطأ .

وحياة عبد العزيز المروانى هذا طويلة حافلة بالأحداث ، فقد كان — كما رأينا — يتولى طليطلة لهشام المؤيد والمنصور بن أبى عامر . وعاونه على الخلاص من القائد غالب ، ثم اتهم بالاشتراك مع عبد الله بن محمد بن أبى عامر فى مؤامرة ضد أبيه ، واشترك فى المؤامرة أيضاً عبد الرحمن بن مطرف التجيبى المتولى أمر ثغر سرقسطة . ولم تنجح المؤامرة ، ففر عبد الله بن المنصور إلى برمودو الثانى ملك ليون ، فازال المنصور يسعى حتى أرغم برمودو على تسليمه إليه ثم قتله . وقد فر عبد الله المروانى أيضاً إلى برمودو هذا ، ولانعلم إن كان قد فر مع عبد الله بن المنصور أو بعد ذلك ، وعلى أى الأحوال فقد ظفر به المنصور أيضاً وسجنه فى المطبق «بعد أن طيف به على جمل وهو مقيد» . وبقية الخبر يرويها ابن الأبار هنا .

انظر ، علاوة على المراجع المذكورة أعلاه : البيان المغرب لابن عذارى : ٢/٢٨٣ — ٢٨٦ . محمد عبد الله عنان ، الدولة العامرية (القاهرة ١٩٥٨) ص . ٦ — ٦٣ .

وتعليقات الدكتور محمود على مكى على تحقيقه لديوان ابن دراج القسطلى (دمشق ١٩٦١) ص ٣٦٢ تعليق ٢ وص ١١١ تعليق ١ وص ٤٦٠ تعليق ٢ .

أمَّره هشام المؤيد فى بعض الأوقات ، وسَدَّ به الثغر ، وفوض إليه أمر طُلَيْطِلَة وقلده إياها مع خطة الوزارة ، فاستقل بمقاومة غالبٍ[١] أيامَ فتلته ، حتى دعاه إلى القيام بالخلافة[٢] .

وكان على مقدمة المنصور بن أبى عامر فى غزاته إلى جَلِّيقِيَّة ، بعد مُنصَرَفه من مقتل غالب بالثغر ، فى أول المحرم سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، ومعه خيل طليطلة وطبقات الأجناد وجميع الرَّجْل . وفيها حَصَر سَمُّورة ، وامتنعت عليه قصبتُها ، وعمَّ بالتدمير كثيراً من نواحيها ، ومنها جهة دمر فيها نحو ألف قرية ، معروفة الأسماء كثيرة البِيَع والدِّيَارات . ووصل قرطبةَ ومعه أربعة آلاف سَبِيّة ، وقد حزَّ قريباً منها من رؤوس الكفرة[٣] .

---

(١) أبو تمام غالب الناصرى « صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى ، شيخ الموالى قاطبة ، وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع » كما يقول ابن عذارى (البيان : ٢/٢٦٥) . كان الوزير أبو جعفر المصحفى (سيتحدث عنه ابن الأبار بعد ذلك) قد أساء معاملته عندما تولى الحجابة لهشام المؤيد ، رغبة منه فى الانفراد بالسلطان المطلق ، فاضطربت أحوال الثغر نتيجة للمنافسة بين الرجلين ، وكان هذا من الظروف التى استغلها محمد بن أبى عامر للوصول إلى السلطان ، وقد سلك إليه طريقاً ملتوية تنوم على الاحتيال على الرجال والإيقاع بينهم ، فاستعان بغالب على جعفر المصحفى ، فاستصدر أمراً من هشام المؤيد برفع غالب إلى خطة الوزارتين ، أى وزارة السيف ووزارة القلم ، أى أنه أصبح وزيراً وقائداً أعلى ، واتفق معه على أن يدبر ابن أبى عامر جيش الحضرة ، ويدبر غالب جيش الثغر . ثم صاهره فتزوج ابنته أسماء ، وبمعاونته قضى على جعفر المصحفى . ثم سعى بعد ذلك فى القضاء على غالب باستقدام جعفر بن على بن حمدون المعروف بالأندلسى ، وكان شيخاً من شيوخ زناتة الموالين لبنى أمية الأندلسيين ، وكان يقوم بأمر العدوة ، واستوزره وولاه القيادة . وشعر غالب بغرض ابن أبى عامر ، ويبدو أنه استعان بالنصارى للدفاع عن نفسه ، ولكنه قتل فى معركة بين رجاله ورجال ابن أبى عامر .

راجع ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢/٢٦٢ — ٢٧٩ .

(٢) يفهم من هذا أن غالباً دعا عبد الله بن عبد العزيز المروانى إلى طلب الخلافة لنفسه . ويبدو أن العبارة ينقصها شىء .

(٣) قام ابن أبى عامر بهذه الغزوة فى العام التالى لمقتل غالب ، ولم يذكرها ابن عذارى ، ولكنى وجدت فى البيان الذى يورده أحمد بن أنس العذرى لغزوات ابن أبى عامر حتى سنة ٣٧٦=

وكان عبد الله هذا أحد رجالات المروانية ، عقلا وشهامةً وأدباً وغزارةَ علم وإمتاعَ حديث وطيبَ مجالسة . ومن شعره ، قال الحُمَيْدى فى تاريخه : أنشدنى عنه أبو عبد الله بن المعلم الطلَيْطِلى ، قال : أنشدنى لنفسه :

اجعلْ لنا منك حظا أيها القمرُ ... فإنما حظُّنا من وجهك النظرُ
رآك ناسٌ فقالوا : إنّ ذا قمرٌ ! ... فقلتُ : كُفُّوا ، فعندى منهما خبرُ..
البدرُ ليلةَ نصفِ الشهرِ بهجتُهُ ... حتى الصباحِ ، وهذا دهرَهُ قمرُ
والله ما طلعتْ شمسٌ ولا غَرَبتْ ... إلا وجاءتْ إليكَ الشمسُ تعتذرُ(١)

وأنشد له ابن أبى الفَيّاض فى [تاريخه] :

ومن لا أسمِّيه مخافةَ عَتْبِهِ ... على أنَّ قلبى مستهامٌ بحبهِ
وبعضُ اسمه حاءٌ وبا [... ...] ... حروفٌ طواها [... ... ...]
عليه سلامُ الله منى مردَّداً ... سلامَ محبٍّ جاد فيه بقلبهِ

وله :

يا ظالماً ظنَّ قتلى فى الهوى حسَنا ... كنْ كيف شئتَ فظنى فيكَ قد حَسُنَا
طويتُ حبَّكَ حتى ظلَّ ينشرُهُ ... دمعٌ جرى فغدا سِرّى به علَنا [٦٢-١]
أفديك من ساكنٍ فى القلب مسكنُهُ ... وغائبٍ لم تزل نفسى له وطنا
يا قرةَ العين ، قد عذبتها سهراً ... ومنيةَ النفس ، قد قطّعتها شجَنا

= ذكراً لها ، ومنه يتبين أن مقتل غالب كان يوم الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة ٣٧٠ أى قبل التاريخ الذى يحدده ابن الأبار هنا بسنة . أما الغزوة التى يشير إليها هنا فيسميها العذرى « سمورة الأولى » وقد خرج بها ابن أبى عامر يوم الأربعاء ١٩ صفر ٣٧١ وعاد منها السبت ١٤ ربيع الأول من نفس السنة . ويمكن أن نعزو ما قامت به هذه الحملة من التخريب إلى أن هذه أول حملة كبرى يشترك فيها جند البربر الذين أتى بهم ابن أبى عامر مع جعفر بن على بن حمدون .

(١) وردت هذه الأبيات مع بعض خلاف فى الألفاظ فى جذوة المقتبس للحميدى : رقم ٥٥٦ ص٢٤٤ ، والبغية للضبى : رقم ٩٣٣ ص ٣٣٤ ، والمغرب لابن سعيد : ٢/١٠ .

ما بالُ قلبِكَ يشكو فَرْطَ قسوتِهِ قلبٌ يقاسى عليكَ البَثَّ والحَزَنا
أما هواكَ فإنى لستُ سالِيَه ومَن يَمُتْ كمداً فيه فذاك أنا

وأنشد له ابن فرج فى « الحدائق »[1] :

سُقْيَاً لهم من ظاعنين حسبتهم وَسْطَ الهوادج لؤلؤاً مكنونا
[١١٠-١] /لو كنت أنصفهم عشية ودعوا ما عشتُ بعد نوى الأحبة حينا
أغصانُ بانٍ فوقَ كثبان النَّقا فإذا لَحَظْنَكَ خِلْتَهُنَّ العينا
أجرى الزمانُ بَيْنَهنَّ مدامعاً ما كنَّ من قبل الهوى يجرينا

وله مع رسالة حين ظفر به المنصور محمد بن أبى عامر فى شوال سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، وكان قد هرب أمامه إلى بلد الروم فسجنه بالمطبق بعد أن طيف به على جمل وهو مقيد :

فررتُ فلم يُغنِ الفرارُ ، ومن يكنْ مع الله لا يُعجزْه فى الأرض هاربُ
ووالله ما كان الفرارُ لحالةٍ سوى حذر الموت الذى أنا راهبُ
ولو أننى وُفِّقتُ للرشد لم يكن ولكنَّ أمرَ الله لابد غالبُ
وقد قادنى جرًّا إليك بزُمَّتى كما اجترَّ ميتاً فى رحى الحرب سالبُ

(١) سبق أن ذكرنا أن الناسخ خلط فى هذا الموضع خلطاً شديداً ، فوصل بين ترجمة عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضى وترجمة أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى ، ولا أدرى كيف وقع الخلط ، ويبدو أنه كان ينسخ فى ترجمة الأول ، ويوقف عند بيت : « أما هواك . . » فلما عاد إلى النسخ فتح المخطوط باحثاً عن عبد الله ابن عبد العزيز بن أمية ، فوقع فى صفحات أبى عبيد البكرى ، فمضى ينقل غير منتبه لخطئه حتى فرغ من أهل القرن الخامس ، ثم تنبه إلى أن جزءاً كبيراً من المخطوط لم ينسخ ، فعاد يستدرك ما نسى نسخه ، ولكنه لم يصلح الخطأ ، وهكذا وصلتنا المخطوطة الوحيدة من الحلة .

وظاهر أن ابن فرج الجيانى لا يمكن أن يروى شعراً لأبى عبيد البكرى ، لأنه مات قبله بزمن طويل ، ولا يمكن أن يروى لعبد الرحمن المستظهر ، لأنه مات قبله كذلك . ولهذا فقد رجحت أن هذه الأبيات لأبى عبد الله بن عبد العزيز المروانى هذا ، فجعلتها فى هذا الموضع .

وأجمع كلُّ الناس أنك قاتلى ... وربَّتَ ظنٍّ ربُّه فيه كاذبُ
وما هو إلا الانتقام فتشتفى ... وتَركُكَ منه واجباً ، لك واجب
وإلا فعفوٌ يرتضى اللهُ فِعلَه ... ويَجزيك منه فوق ما أنت طالب
ولا نفسَ إلا دون نفسك ، فليكن ... على قدرها قدرُ الذى أنت واهب
فما خاب من جدواك مذ كنتَ سائلٌ ... ولا رُدَّ دون المبتغَى عنك راغب
وقد منحتْ كفاك ما يُعجز الورى ... وعمتْ عمومَ الغيث منك المواهب
وإن حُمَّ تأخيرٌ لنفسى فليكن ... لمُتلِفِها من حاجب الملك حاجب
فما زال سبّاقاً إلى كل خَصْلةٍ ... يسير بها فى الأرض ماشٍ وراكب
فلا انفكَّ لى مولًى ألوذُ بعزِّهِ ... فيصرِفُ عنى الخطبَ والدهر عاتب

وله أيضا يستشفع بالمظفر عبد الملك إلى أبيه المنصور :

/ ألا أيها الحاجب المرتجَى ... وأكرم من كان أو من يكونْ [١١١-١]
دعوْتُك دعوةَ مستصرخٍ ... أحاطت به وَأُثْخَنَتْهُ المَنونْ
فإنْ لم تغثنى فمن ذا الذى ... يلوذ به الخائف المستكين ؟
جمعتَ التقى والعلى والنُّهى ... فمالٌ مُذالٌ وعِرض مصون
وتفريجُ غَمّاءَ عن حائنٍ ... يعود بك الحىُّ وهْو الدفين
فقل لى : لعاً ! من عثار له ... أناديك والموت لى مستبين
وإن جل ذنبى فأنت الجليل ... وهل لك فيمن عليها قرين ؟

ومن خبره أنه أقام مسجوناً إلى أن مات المنصور ، وولى ابنهُ المظفرُ عبد الملك حجابةَ هشام ، فأطلقه واستحله لأبيه ، وخلع عليه وولاه الوزارة وخُصَّ

به ، فلم تطل حياته ، وتوفى غازياً مع عبد الملك غزاته الأولى سنة ثلاث وتسعين بمدينة لاردَة ، وقبرُه بمسجدها .

وكان جَلْداً فى محنته ، كثير الدعاء والضراعة ، قد رزق من الناس رحمة . ولما أسلمه برمند ملك الجلالِقة[1] مضطرا إلى ثقات المنصور وطيف به ، كان قدامه [من] ينادى : « هذا عبد الله بن عبد العزيز ، المفارق لجماعة المسلمين ، النازع إلى عدوهم ، المظاهِر له عليهم ! » ، فكان هو يرد عليه ويقول : « كذبتَ ! بل نفس خافت ففرَّت تبغى الأمن من غير شِرك ولا رِدَّة » . ولم يعرض المنصور لمنازله وضياعه ، أطلقها لبنيه مدة اعتقاله .

٨٦ — مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، أبو عبد الملك

هو الطليق ، وقيل له ذلك لأنه سُجن فى أيام المنصور محمد بن أبى عامر مدة طويلة ثم أطلِق بعد ذلك فسُمى « الطليق » .

وكان — فيما قيل — يهوى جارية رباها أبوه معه وذكرها له ، ثم إنه استأثر بها ،

---

(١) هو برمودو الثانى Bermudo II ابن رذمير الثانى Ramiro II ملك مملكة ليون وأشتريس وجليقية من سنة ٩٨٢ إلى ٩٩٩ م (٣٧٢ — ٣٩٠ هـ) معاصر المنصور ابن أبى عامر وصاحب الوقائع الكثيرة معه . وهو الذى لجأ إليه عبد الله بن المنصور بن أبى عامر وعبد الله بن عبد العزيز المروانى هاربين خوفاً من المنصور بعد انكشاف مؤامرتهما عليه ، وقد استطاع المنصور أخيراً الحصول عليهما . أما عبد الله ابنه فقد قتله ، وأما عبد الله المروانى فقد سجنه حتى كان من أمره ما يحكيه ابن الأبار.

انظر : تعليق الدكتور محمود على مكى على القصيدة رقم ١٢٨ من ديوان ابن دراج القسطلى (دمشق ١٩٦١) ص ٤٦٠ هامش ٢ .

فاشتدت غيرة مروان لذلك ، وانتضى سيفاً ، واتهز فرصةً فى بعض خلوات أبيه معها فقتله . وعُثر على القصة ، فسُجن وهو ابن ست عشرة سنة ، ومكث فى السجن ست عشرة سنة ، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة ، وهذا من نادر الاتفاق . ومات قريباً من سنة أربعمائة .

وكان أديباً شاعراً مكثراً ، وأكثر/ شعره فى السجن . وإنما ذكرتُه — [١١١-ب] وليس من شرطى فى الإتيان بالأمراء والمتأمرين ومن قَرُب إليهم دون مَن بَعُد من البنين — لقول أبى محمد بن حزم : « أبو عبد الملك هذا فى بنى أمية كابن المعتز فى بنى العباس ، ملاحةَ شعرٍ وحُسنَ تشبيهٍ »[1] ؛ فحذفُه من هذا المجموع هو المعترَض [عليه] حقيقةً لا إثباته واجتلاب محاسنه ، والخطأ مع الاجتهاد معفوٌّ عنه . ولعـــلى قد أتيتُ فى ما أثبتُّ بما هو قريب منه . ومن شعر الطليق فى معتقَله :

ألا إنَّ دهراً هادماً كلَّ ما نبنى ... سيَبْـلَى كما يُبْلِى ، ويَفْنى كما يُفْنى[2]

وما الفوز فى الدنيا هو الفوز ، إنما ... يفوز الفتى بالربح فيها مع الغَبْن

يُجازَى بؤس عن لذيذ نعيمها ... ويَجْنِي الرَّدَى مما غدتْ كفُّه تجنى

ولا شك أن الحزنَ يجرى لغايةٍ ... ولـكنَّ نفس المرء سيئةُ الظن

وله يصف السجن :

فى منزل كالليل أسودَ فاحمٍ ... داجى النواحى مظلمِ الأثباجِ

---

(١) عبارة ابن حزم فى الجمهرة (ص ٩٤) : وأما مروان بن الناصر ، فن ولده مروان الطليق ، وأخوه عبد الملك ، ابنا عبد الرحمن بن مروان بن الناصر . كان مروان هذا من الشعراء المفلقين المحسنين ، وأعقب أربعة : يزيد أبوخالد ، ولبيد أبوليلى ، وعبيد الله أبو إمامة ، وأربد أبو زبيد ، وأخوه عبد الملك ساكن الآن بدُرُوقَة » .

(٢) ورد فى الهامش إلى يمين هذا السطر : « أخذ قول البحترى برمته :

ستفنى مثل ما نفنى وتبلى ... كما نبلى ، ويدرك منـك ثـأرُ

يسْوَدُّ والزهراء تُشرق حولَه كالحبر أُودع فى دواةِ العاجِ

وله فى النسيب :

أقول ودمعى يستهلُّ ويسفَحُ وقد هاج فى الصدر الغليلُ المبرِّحُ
دَعُونى من الصبر الجميل فإننى رأيتُ جميلَ الصبر فى الحب يقبُحُ
لقد هيَّج الأضحى لنفسى جوى أسًى كريهُ المنايا منه للنفس أروح
كأن بعينى حَلْقَ كل ذبيحةٍ به ، وبصدرى قَلْبَها حين تُذبح
فيا ليت شعرى ، هل لمولاى عَطفةٌ يداوَى بها منى فؤادٌ مجرَّح ؟
يحنُّ إلى البدر الذى فوق خدهِ مكانَ سوادِ البدر وردٌ مفتح
تقنَّع بدرُ التِّمِّ عند طلوعهِ مخافةَ أن يسرى إليه فيُفضَح
فقلتُ له : يا بدرُ أسفِرْ فقد غدا عليه رقيبٌ للعِدا ليس يبرح
لعَمرى لَذاك البدرُ أجملُ منظراً وأحسنُ من بدر التمام وأملح

[١١٢ - ١] وله من قصيدة / فريدة أولها :

غصنٌ يهتزُّ فى دِعْصِ نقًى يجتنى منه فؤادى حُرَقَا
باسُم عن عقدِ درٍّ خِلتُهُ سَلَبَتْهُ لِثَتَاهُ العُنُقا
سالَ لامُ الصدغ فى صفحته سيلانَ التبر وافَى الوَرِقا
فتناهى الحسنُ فيه ، إنما يَحسُن الغصنُ إذا ما أوْرَقا
رقَّ منه الخصرُ حتى خِلتُهُ من نحولٍ شَفَّه قد عشقا
وكأن الرِّدفَ قد تيَّمهُ فغدا فيه مُعَنًّى قلقاً
ناحلا جاور منه ناعماً كحبيبى ظل لى معتنقا
عجباً إذ أشهانا ، كيف لم يُحدثا هجراً ولم يفترقا ؟

ومنها يصف الخمر :

رب كأسٍ قد كستْ جنحَ الدجى ثوبَ نُورٍ من سناها أشرقا
بتُّ أسقيها رشاً فى طرفه سِنَةٌ تُورث عينى أرقا
خَفِيَتْ للعـــين حتى خِلتُها تتقى من لحظه ما يُتَّقَى
أشرقتْ فى ناصعٍ من كفهِ كشعاع الشمس لاقى الفَلَقا
وكأن الكأسَ فى أنمُلهِ صفرةُ النرجسِ تعلو الورَقا
أصبحتْ شمساً وفُوهُ مغرباً ويدُ الساقى المحيِّى مَشرِقا
فإذا ما غربت فى فمـــهِ تركت فى الخـــد منه شَفَقا

ومنها فى أوصاف شتى :

وغمامٍ هطلٍ شؤبوبُهُ نادمَ الروض فغنَّى وسَقى
فكأن الأرضَ منه مطبقٌ وكأن النَّصب جانٍ أُطْبِقا
خلع البرقُ على أرجائه ثوبَ وَشْيٍ منه لما برَقا
وكأن العارضَ الجَوْنَ بهِ أدهمٌ خلى عليه بَلَقا
/وكأن الريحَ إذ هبَّتْ له طيَّرتْ فى الجو منه عَقْعَقا [١١٢-ب]
فى ليالٍ ضلَّ سارى نجمِها حائراً لا يستبين الطرُقا
أوقدَ البرقُ لهـــا مصباحَه فانثنى وجهُ دُجاها مُشرقا
وشدَا الرعدُ حنيناً فجرتْ أكؤسُ المزنِ عليه عرقا
وغدتْ تجذبه الشمسُ وقد ألحفتْه من سناها نُمرُقا[1]
فكأن الشمس تُحْيِى نفسَه غُرةُ المعشوقِ تُحْيِى الشَّيِّقا

(١) قرأها دوزى (ص ١١٦) : عزقا .

وكأن الوردَ يعلوه الندى وجنةُ المحبوب تندى عرقا
يتفقّا[1] عن بهار فاقعٍ خِلتُه بالورد يطوى وَمَقا
كالمحبّين الوصولَيْن غدَا خَجِلاً هذا ، وهذا فَرِقا
ورنَتْ منه إلى شمس الضحى حدقٌ للنَّور تُصى الحدَقا
وكأن القَطْر لما جادها صار فى الأوراق منها زئبقا

ومنها فى الفخر :

مَن فتًى مثلى لبأسٍ وندًى ومقالٍ وفَعالٍ وتُقَى ؟
شرفى نفْسى ، وحَلْيى أدبى وحُسامى مِقْوَلى عند اللقا
ولسانى عند مَن يَخبُرُهُ أفعوان ليس يثنيه الرُّقى
ويمينى يُمنُ عافٍ مُعسرٍ جَمعتْ حمداً غدا مفترِقا
جَدِّى الناصرُ للدين الذى فرَّقتْ كفّاه عنه الفِرَقا
أشرفُ الأشراف نفساً وأباً حين يعلوه وأعلى مُرتقى
أنا فخر العَبْشَمِيِّين وبى جَدَّ من فخرهم ما أخلقا
أنا أكسو ما عفَى من مجدهم بحُلَى رونقِ شعرى رونقا

[١١٣-١] / وله أيضاً يصف السحاب ، أنشده له أبو الحسن على بن محمد بن أبى الحسن القرطبى فى كتاب « الفرائد فى التشبيه من الأشعار الأندلسية » من تأليفه :

فكأن الغمام صب عميدٌ أنَّ بالرعد حُرقةً واشتكاء
وكأن البروق نارُ جواهُ والحَيَا دَمْعُه يسيل بكاء

---

(١) ورد هذان البيتان من هذه القصيدة فى كتاب « التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتانى .

وله أيضاً :

كأنما إنسانُ أجفانها للخمر من تحييرها مدمنُ
وليس إنساناً ولكنهُ هاروتُ فى مقلتها يسكنُ

وله فى طول الليل :

فما بال صُبحى قد تقارب خَطوُهُ فأبطأ حتى ليس يُرجى قدومُهُ
كأن نجومَ الليل قيَّدها الدجى وأوقفها فى موضع لا تريمه

وله فى الرسوم :

رَبْعٌ تربصت[1] النجوم لأهلهِ ورماهمُ ريب الزمان فقَرْطَسا
فكأنه مما تقادم عهدُهُ ربعُ امرئ القيس القديمُ بعَسْعَسَا

وله فى مثل ذلك :

فبقيتُ فى العرصات وحدى بعدهم حيران بين معاهد ما تُعهدُ
فكأنهن ديار مَيَّ إذ خلتْ وكأننى غَيْلانُ فيها يُنشِدُ

وله :

وكأن المياهَ فيها ثعابيـ ـن بَجُنْينٍ تَبَعَّثَتْ فى السواق
وكأن الحصباء فى رونق المـا ء سنا الدرِّ فى بياض التراق

* * *

(١) فى الأصل ، وفى دوزى (ص ١١٨) : تربَّعت .

ومن أبناء الأدارسة الحَسَنيين :

٨٧ – إبراهيم بن إدريس الحسنى

كذا قال فيه ابن حَيّان ، وقال الحُمَيْدى : إبراهيم بن إدريس العلوى الحسنى المنبوز بالمؤبَّل . كان أديباً شاعراً ، وكان فى أيام المنصور أبى عامر محمد ابن أبى عامر ، وعاش إلى أيام الفتنة . أصله من المغرب ، وسكن قرطبة إلى أن سيَّره ابنُ أبى عامر عن الأندلس ، فيمن سيَّر من أهل بيته بعد مقتل حسن بن قَنُّون كبيرهم[1] . وهو القائل يخاطب المروانية بقرطبة ، لما رأى غلبة ابن أبى عامر على هشام المؤيد واستبداده بالأمر دونه : /[١١٣-ب]

(١) يشير ابن الأبار بذلك إلى ماكان بين الحسن بن كنون آخر ممثل لسلطان الأدارسة فى المغرب والمنصور بن أبى عامر . والحسن بن كنون هو من أبناء القاسم بن محمد بن القاسم ابن إدريس ، والقاسم هذا – واسمه كنون – هو الذى ضم بقايا دولة الأدارسة بعد أن شتت شملها قواد العبيديين واحتلوا فاس . فأقام القاسم كنون دويلة قاعدتها حصن صغير يسمى حجر النسر ، وتوفى سنة ٣٣٠ وخلفه ابنه أبو العيش . ولم تستطع هذه الدويلة الإدريسية أن تقوم بنفسها ، فكانت طوراً تخضع للأمويين الأندلسيين وطوراً للعبيديين ، ولكنها كانت فى الغالب فى حماية بنى أمية ، وقد بايع أبو العيش لعبد الرحمن الناصر ، وبعونه استطاع أن يمد سلطانه حتى سجلماسة . وكان الناصر قد استولى على سبتة ، وأراد أن يضم إليها طنجة يملك بيده مفتاحى الزقاق . وبعد حرب طويلة ، استولى عليها وانتقل أبو العيش إلى بصرة المغرب الأقصى غير بعيد عن حجر النسر ، واستولى قواد عبد الرحمن الناصر على معظم نواحى شمال المغرب الأقصى من تاهرت إلى طنجة . ورأى أبو العيش أنه لم يبق له من الأمر شىء ، فكاتب الناصر واستأذنه فى الانتقال بأهله إلى قرطبة ليشترك فى الغزوات التى كان الناصر يقودها على ممالك النصارى ، وقد اشترك أبو العيش فيها بالفعل واستشهد سنة ٣٤٨ .

وبعد أن غزا جوهر الصقلى المغرب الأقصى غزوته المخربة التى احتل فيها فاس وقضى على كل أثر لسلطان الأمويين فى المغرب (٣٤٨ – ٣٥٠) اضطر الحسن بن كنون أخو أبى العيش وخليفته فى البصرة إلى الدخول فى طاعة العبيديين ، فلما انصرف جوهر عاد إلى الأمويين ، فعاد الفاطميون وبعثوا بلقين بن زيرى بجيش كثيف إلى المغرب فدخل الحسن بن كنون فى طاعته . وبعد انصراف بلقين أرسل الحكم المستنصر قائده غالباً الناصرى ، فتحصن منه الحسن =

فيما أرى عجبٌ لمن يتعجبُ جلَّت مصيبتُنا وضاق المذهبُ
إنى لأُكْذِبُ مقلتى فيما أرى حتى أقولَ غلطتُ فيما أحسِبُ
أيكونُ حيًّا من أميةَ واحدٌ ويسوس هذا الملكَ هذا الأحدب ؟
تمشى عساكرُهم حوالَىْ هودجٍ أعواده فيهن قـــردٌ أشهب
أبَنى أميةَ أين أقمارُ الدجى منكم ، وما لوجوهها تتغيب ؟

هذا ما أورد ابنُ حَيّان فى أخبار الدولة العامرية من شعره .

وقال الحُمَيْدى فى كتابه : رأيت له قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة هذيل بن خلف بن رَزين صاحب القلاع ويهجو فى دَرجها غيره ، أولها :

للبَين فى تعذيب نفسىَ مذهبُ ولنائبات الدهر عندى مطلبُ
أما ديونُ الحادثاتِ فإنها تأتى لوقتٍ صادق لا تكذبُ
والبين مُغرًى كيدُه بأولى النُّهى طبعاً تَطَبَّع ، والطبيعة أغلبُ

ومنها :

أيقنتُ أنى للرزايا مطعَمٌ ودمى لوافدة المكاره مشربُ
فأنا من الآفات عِرضٌ سالمٌ وجوانحٌ تُكوَى وعقلٌ يذهبُ

= ابن كنون فى حجر النسر ، ولكنه استسلم أخيراً وأُخذ وجميع أهله إلى قرطبة حيث أكرمه الحكم المستنصر ، ثم اختلف معه فنكبه وأخرجه إلى المشرق حيث نزل على العزيز بالله الفاطمى ، فسيره فى جيش إلى المغرب سنة ٣٧٣ . فلما صار الأمر فى قرطبة إلى محمد بن أبى عامر أرسل قواده وجيوشه إلى المغرب ليحاربوا الحسن بن كنون ، وقد تمكنوا من استنزاله على أمانه المنصور ، ولكن هذا غدر به ولم يمض أمانه وقتله سنة ٣٧٥ . وقد وصف ابن عذارى (البيان المغرب : ٢/٢٨١) مشهد قتله وما صاحبه من رعد وبرق دلالة على الغضب الإلهى لتلك الجريمة . وكانت تلك هى النهاية الأخيرة للأدارسة الحسنيين .

انظر : الاستقصا (الدار البيضاء ١٩٥٤) : ١/١٩٤ – ٢٠٥ .

ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢/٢٨١ . وقد روى ابن عذارى نفس الأبيات التى رواها ابن الأبار .

ولم يذكر منها سوى هذه الأبيات ، فيشبه أن يكون فيها ما أنشد ابنُ حَيّان ، ويشبه أن يكون قطعة فى المنصور على انفراد ؛ والظاهر أن الحُمَيْدى تركها ولم ير إثباتها .

* * *

ومن رجال المروانية فى هذه المائة :

٨٨ – أحمد بن محمد بن أضحَى الهَمْدانى

[١١٤-١] / هو أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن خالد بن يزيد بن الشمِر من همْدان ؛ وخالد يقال له « الغريب » ، وسُمى بذلك لأنه أول مولود من العرب الشاميين بكُورة إلبيرة[١] . كان أبوه محمد بن أضحى صاحب حصن الحَمَّة من أعمال إلبيرة زمنَ الفتنة[٢] ، وقام بأمر العرب بعد قتل سعيد بن جُودِىّ ،

---

(١) ذكر ابن حيان (المقتبس – ملشور أنطونيا ، ص ٣١) خبر محمد بن أضحى ابن عبد اللطيف الهمدانى الثائر أيام الأمير عبد الله ، وما كان بينه وبين سعيد بن جودى من عداوة ، ثم ذكر دخوله فى طاعة الأمير عبد الله واشتراكه فى حرب عمر بن حفصون ، ثم استنزال الناصر له ضمن من استنزل من الثوار واستقدامه إلى قرطبة سنة ٣١٣ حيث عاش فى كنفه . قال ابن حيان : « وكان ابن أضحى هذا مع رجوليته أديباً بيناً يقوم بين يدى الخلفاء فى المحافل والمقاوم ، فيحسن القول ويطيب الثناء ، وله أخبار معروفة » .

وقد ذكر ابن الخطيب فى الإحاطة (بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٥ ، ج ١ ص ١٥٦ – ١٥٨) أحمد بن محمد بن أضحى هذا وساق نسبه : ابن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد . . الخ ، أى أنه وضع « غريب » موضع « خالد » . وقد فسر لنا ذلك ابن الأبار عندما قال إن خالداً كان يسمى بالغريب . وأورد ابن الخطيب قطعة من الخطبة التى ألقاها أحمد هذا بين يدى الناصر ، وأورد له بيتين لم يوردهما ابن الأبار ، ثم قصيدة « أيا مَلكاً » بأكملها .

(٢) يريد الفتنة الأولى أيام الأمير عبد الله ، انظر التعليق السابق .

وتمسك بموالاة الأمير عبد الله بن محمد إلى آخر مدته ، وأورث عقبَه نباهةً ورياسة انسحبت عليهم دهراً .

وثار منهم القاضى أبو الحسن على بن عمر بن محمد بن مُشرِّف بن أحمد هذا بغرناطة فى المائة السادسة ، وسأذكره هنالك إن شاء الله عز وجل .

وقدم أحمدُ بن محمد مع أبيه على الناصر عبد الرحمن بن محمد ، باخِعَين بطاعته ، داخِلَين فى جماعته — وكان من أحسن الناس وجهاً ، وأفصحهم لساناً ، وأشهمهم نفساً ، وأوسعهم أدباً — فأجمل الناصرُ لقاءهما ، وأحسن قبولهما ، وأعلى منازلهما ، وأجزل عطاءهما . وقام أحمد هذا يومئذ بين يديه خطيباً ، ثم أنشد فى إثر خطبته :

أيا مَلِكاً تُرْمَى به قضبُ الهنـــدِ ... إذا لمعت فوق المغافر والسَّردِ
ومَن بأسُــه فى مِنهل الموت واردٌ ... إذا أنفسُ الأبطال كفَّتْ عن الوِردِ
ومَن ألبس الله الخلافةَ نعمـــةً ... به ، فاتت النُّعمى فجلَّتْ عن العدِّ
تجـــلَّى على الدنيا فجَلَّى ظلامَها ... كما انجلتِ الظلماء عن قمر السعد
إمامُ هدًى زيدت به الأرضُ بهجةً ... ملبســـةً نوراً كموْشِيَّةِ البُرْد
كفانى لديه أن جعلتُ وسيلتى ... ذِماماً شآمىَّ الهوى مخلصَ الود

وأنشد له صاحب « الحدائق » :

هوًى كدَّر الواشون منه الذى صفا ... ونَمُّوا بأفعى الإفك عنى مزخرفَا
وشَوْا وأصاختْ أذْنُ خِلِّى فما وفَوْا ... بتبليغـــه ما لم أقله ولا وَفَى
/وهلاّ — كما أنصفتُه فى محبتى — ... ثناهم على الأعقاب منهم فأنصفا ؟ [١١٤-ب]
فلا كان واشٍ كان داء ضميرِه ... هوانا ، فلما أنْ رأى هجرَنا اشتفى
ولا يفرحوا أن أوقدوا الهجرَ جاحماً ... فما قريب ينطفى ، أو قد انطفى

٨٩ — لب بن عبيد الله بن أمية
المعروف بابن الشاليَة ، أبوعيسى

كان أبوه من كبار الثوار فى أيام الأمير عبد الله بن محمد ؛ سماه ابنُ حَيّان فى أعلام المخالفين عليه ، وجعله ثانياً لدَيْسَم بن إسحاق صاحب تُدْمِير ، و بعده ذَكر إبراهيمَ بن حجاج صاحب إشبيلية . وكان مَلك جبل شمنتان وما يليها من كورة جَيّان ، وامتد إلى حصن قَسْطلونة وغيره ، وانطلقت يده فتبنَّك النعمةَ و بنى المبانى الفخمة . وأظهر الإذعان وقتاً ، بعد وَقيعَةٍ جرتْ عليه ، والتزم حمل قطيع من المال فُورق عليه عما فى يده ، فلما رُوخِى عاد إلى غيه فنكث ، ووالَى عميد المخالفين عمر بن حفصون ، وواصله بالصِّهر مِن أسفل ، فزوَّج ابنتَه من جعفر ولد ابن حفصون ، ونقلها إليه بِبُبَشْتُرُ ، ووصل يدَه بيده ، فاعتز جانبه . وكان عُبَيْدِيس بن محمود [الشاعر الأديب][1] كاتباً لعبيد الله ، ومتصرفاً فى خدمته ، مكثراً من مديحه ، واصفاً لمغازيه ومبانيه وأحواله أوصافَ الشعراء لأكابر الملوك ، يستحسن ذلك منه و يجزل عطيته عليه ، فشعره فى ذلك مشهور ؛ ومنه قوله فى وصف قصره :

قصر الأمير أبى مروان مُنتَسَخٌ من جنةِ الخُلدِ بالسراء معمورُ
فيه مجالس قد شِيدتْ على عمدٍ بُنيانها مرمرٌ بالتبر مطرورُ

ونازع الفتحُ بن موسى بن ذى النون عبيدَ الله حصناً أورثهما حرباً ، فغلبه عليه عبيد الله وهزمه وحاز الحصن دونه ، وتيمَّن بحضور ابنه لبّ بن عبيد الله معه فى وجهه هذا ، فقال عُبَيْديس فى ذلك شعراً طويلا منه :

---

(١) نقل ابن الأبار هذا الكلام كله عن ابن حيان (المقتبس ص ٩ — ١٠) وأسقط هذه الجملة على أهميتها هنا ، فأتيت بها زيادة فى التعريف بعبيديس بن محمود .

/ جاء البشيرُ بما عم السرورُ بهِ عن الأمير أبى مروان فى السفرِ [١١٥-١]
فقلتُ ، حين سألناه فأخبرَنا : بالله قل وأعد يا طيّبَ الخبر
بيُمن لُبِّ أبى عيسى وغزوتهِ فاز الأمير على الأعداء بالظفر

يقول فيه :

قاد الجيوش إلى الأعداء مذرعاً يَصْلَى الوغى بالوغى فى سِنٍّ مُثْغِرِ(١)
من تحته فرسٌ ، فى كفه قبسٌ يرمى الشياطين فى الهيجاء بالشررِ(٢)

وعجُز البيت الثانى من هذه الأبيات منقول من قول أبى نواس :

يا ذا الذى عن « جنان » ظل يخبرنا بالله قل وأعد يا طيِّب الخـــبر

ولما غزا الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد غزوته الأولى إلى جَيّان ، خرج إليه عبيد الله مقالصاً(٣) فى طاعته إياه ، فأمر بالقبض عليه وأرسل إلى معاقله مَن ضبطها وحمل عياله إلى قُرْطُبَة ، فصار فى الديوان بها فى أعلى الملاحق(٤) . وصرّفه الناصر فى ضروب من خدمته سكن منه فيها إلى نصاحة وثقة ، فصرفه من أجل ذلك إلى معاقله بشمنتان والياً من قِبله ، لالتياثٍ أحسه من أهلها — ولا رعيةَ أجهل منهم — فأصلحها عبيدُ الله وأقام بها إلى أن صرفه ثانيةً عنها وأعاده إلى مصافّه .

وكان ابنُه لُبّ بن عبيد الله أديباً شاعراً حسن التصرف ، وهو القائل ،

---

(١) المثغر هنا كناية عن صغر السن ، لأن المثغر هو الطفل الذى نبتت أسنانه .

(٢) أورد ابن حيان (المقتبس ، ١٠ — ١١) أبياتاً كثيرة أخرى من هذه القصيدة .

(٣) مقالصاً أى منقصا من طاعته ، والمراد أنه قصر فى طاعته للناصر .

(٤) الملحق ، وجمعه ملاحق ، هو المقيد فى ديوان العطاء ليصرف له راتب شهرى وما يتبعه ، والمراد أنه تقرر له راتب من أكبر ما كان يعطى لأمثاله من الثائرين الذين استزلهم الناصر وأتى بهم إلى قرطبة ليعيشوا فى أمان على رواتب تصرف لهم ولذويهم .

أنشده له أبو الحسن بن أبي الحسين القُرْطُبيّ في كتاب « الفرائد » من تأليفه في التشبيه :

صابَحتُها والروضُ يَسْطَعُ مِسكُهُ فكأنه بالليـــل بات مغلَّفَا
والورد يبدو في الغصون كأنما أضحى يقارب من نداه قَرْقَفَا[1]

وله في الخِيري :

وكأنما الخِيري إن أبدى النرجسُ[2] أسرارَه عن نشرِ مسكٍ أذفرا
لص يرائي بالنهـــار زهادةً خوفاً ويقطع ليـــلَه مُتَشَطِّرا

وله :

وراهقةٍ عنها السيوف كأنها عيونٌ يروع الليثَ فيها حَسِيرُها
[١١٥-ب] / إذا غشيتها البيض تعشَى بنورها كأن سناها من أذاها مُجيرُها
كأن فؤادي فوق رأسي صلابة فكل حسام ينتحيها كسِيرُها

يصف بيضةَ حديدٍ . ومن هذه القصيدة في وصف ترس :

وممتَثِلٍ[3] قرصَ الغزالة في يدي هجمتُ به والخيلُ تَدمَى نحورُها
تُقلِّبُ منه الكفُّ مِغْنَطِسَ[4] القَنا فلا آلةٌ إلا إليـــه مصيرُها

٩٠ — موسى بن محمد بن سعيد بن موسى

مولى عبد الرحمن بن معاوية ، الحاجب الوزير ، أبو الأصبغ .

(١) القرقف اسم من أسماء الخمر : ويقارب القرقف ، أي يشربها ، مقتبس من قوله تعالى : « ولا تقربوا الخمر » .
(٢) كذا ، والوزن لا يستقيم على هذه الصورة ، ولعل صواب هذا الشطر : « وكأنما الخيري إذ أبدى لنا » ، كما أن كلمة « النرجس » تبدو مقحمة لا مكان لها في هذا الموضع .
(٣) أي : يُشبهه بقرص الشمس .
(٤) الأصل : مغنطيس ، ولا يستقيم به الوزن .

كان — مع رئاسته وجلالته ، ونباهة سلفه واستعمالهم فى الكُوَر وسنيّات الخطط — من أهل العلم والأدب والشعر . وأول ما تصرّف فيه للأمير عبد الله خطة القُطُع[1] ، ثم وَلى خطة المدينة ، وعُزل عنها ، وأعيد إليها . ولما أفضت الخلافة إلى الناصر عبد الرحمن بن محمد أقره على المدينة ، واستوزره يوم استخلافه ، ثم استحجبه عند وفاة بدر فى سنة تسع وثلاثمائة ، فاضطلع واكتفى .

وكان الوزير عبد الملك بن جَهْوَر يقول : « ما رأيت مثل موسى : لم يجمعه أمير المؤمنين مع أحد إلا كان المستحوذَ على المجلس فى الجد والهزل » .

وتوفى للنصف من صفر سنة عشرين وثلاثمائة — وقيل فى آخر سنة تسع عشرة — فلم يستحجب الناصر بعده أحداً . وكان يحجبه عند قعوده لسلام الأجناد ، ولوفود الأطراف ، ورسل الأمم وأصحاب الخيل والمدينة والشرطة العليا والوسطى[2] على مراتبهم مع سائر الخدَمة . ومن شعره قوله يمدح عبد الرحمن الناصر ويذكر هيبته :

---

(١) القُطُع جمع قطيعة ، وهى فى المصطلح الإدارى الذى يستعمله ابن حيان مبلغ من مال الجباية يتعهد بأدائه سادة النواحى الذين تعجز الدولة عن السيطرة عليهم ، فتتركهم عليها فى مقابل أدائهم إياها . وقد يتعهد المستبد بالناحية بأداء القطيعة دون ثورة أو قطع للطاعة . وكان أولئك المستبدون بالنواحى كثيرين فى الأندلس حتى منتصف حكم عبد الرحمن الناصر . وكان هناك لهذا ديوان — أو « خطة » فى المصطلح الأندلسى — لهذه القُطُع . وهى تشبه من بعض الوجوه المقاطعات فى المصطلح الشرقى ، وتختلف عنها من وجوه أخرى .

انظر : دوزى ، ملحق القواميس ، ٣٧٢/٢ .

(٢) صاحب الخيل هو المشرف على شؤون الخيل اللازمة للجيش وما يتصل بها من سرج وقرابيس وما إلى ذلك . وكانت خطة الخيل وظيفة إدارية فى الغالب ، وقد يتولاها قائد من القواد ، وقد يقود صاحبُ الخيل الصوائفَ .

وصاحب المدينة هو حاكمها ، ويراد بها عادة العاصمة قرطبة .

أما الشرطة العليا والوسطى فى تفسيرهما خلاف . وقد انتهينا من استقراء النصوص إلى أن الشرطة العليا كانت خاصة بأمن الأمير وقصوره وأهل بيته وكبار الناس ، والوسطى تتعلق بأعمال الشرطة المعروفة ، أى الأمن العام فى المدينة نفسها . وفى بعض النصوص ورد ذكر=

إذا ما فُرِّجَت خللُ الستورِ ولاح وقد تمكن فى السريرِ
ترى الأملاكَ ماثلةً لديهِ بأعناق إلى الغبراء صورِ
كأنهمُ لهيبتـــه قد أُوفوا منَ الموت الزعاف على شفيرِ

وله :

أبطأتَ بالإذن على عبدكا فعاذ بالمعروف من نَجْدكا
[١١٦-١] /قد جُدتَ لى بالوعد ياسيدى ولم تزل تصدقُ فى وعدكا
إن لم يكن من خدمتى شافعٌ فالخُلْف ما يصلُح مِن عِندكا

وله :

معظَّمٌ تَحْسِرُ الألحاظُ من رَهَبٍ عنه ، وتلحظه الآمال من رَغَبِ
إذا بدا تضحك الدنيـــا لطلعته وتتقى الجِنُّ منه سَورةَ الغضبِ
لمـــا ارتقى فى سماء الجود قاد به إلى التبذُّل فينـــا جوهر الأدبِ

وله :

كان العزاء ولىَّ العهد بعد أمي ن الله ، والمُلكُ وقفٌ بين هذينِ
فصرتُ لما نأتْ عنى وجوهُهما كالصقرِ أصبح مقصوص الجناحين
أستودع اللهَ مَن نفسى فِداؤهما ومُلِّيا العُمَرَ فى الدنيا عزيزَيْنِ
تأميلُ هذين نقدٌ ناجزٌ ، وأرى تأميلَ غيرهما كالدَّين بالدَّين
أعُدُّ ما حُزتُه من حُسنِ رأيهما مُلكاً ، أضاهى به مُلكَ العراقين

= الشرطة السفلى واختصاصها – فيما يبدو – الأسواق والأحياء الدنيا من البلد . وقد حاولت أن أتعرف ما إذا كان صاحب الشرطة العليا مثلا هو المشرف على الأمن العام فى مصطلحنا الحديث – ومن ثم فهو رئيس الشرطة الوسطى والشرطة السفلى – فلم أستطع تبين ذلك بوضوح ، خاصة وأننى لاحظت أن صاحب الشرطة الوسطى كان فى نفس المكانة التى كان فيها صاحب الشرطة العليا ، وكان يعينهما الأمير أو الخليفة بنفسه .

وحكى ابن حَيّان أن موسى بن محمد بن موسى بن حُدَيْر[1] — عمّ الحاجب موسى هذا — وهو المعروف بالزاهد ، كان ممن يُكثر مجالسة الأمير عبد الله ويصل مؤانستَه . وكان حدثاً ظريف المشاهدة ، مليح العبارة ، إخباريًّا ، ممتعاً ، حُفَظَةً لأخبار دولة مواليه بنى أمية ، مفتَنًّا ، مفوهاً ، بليغاً ، يقرض أبياتاً من الشعر حسنة ، بديهةً وروية . قال : فشهد مجلس مذاكرة الأمير عبد الله يوماً وهو حافل بأهل الأدب والمعرفة ، وقد أفاضوا فيما كانوا يفيضون فيه من أبواب المذاكرة ، حتى مر ذكرُ الشيب وذمِّه — وكان الأميرُ عبد الله شديدَ التكرُّه له — فقال لجلسائه : « أىُّ شىء تروونه فى ذم الشيب أبلغ ؟ » ، فلم يحضر أحدَهم شىء ، إلا موسى بن محمد هذا فقال أحسن ما قيل فيه عندى ، قول الأوَل :

أقول لضيفِ الشيبِ إذ حلَّ مفرقى : نصيبك منى جَفوةٌ وقطوبُ
حرام علينا أن تنالَكَ عندَنا كرامةُ بِرٍّ أو يمَسَّك طِيبُ

/ فاستحسنهما الأمير وقال له : « اكتبهما يا موسى وزد فيهما ، إن كانت [١١٦-ب] فيهما عندك زيادة » ، فقال : « لا والله يا سيدى ما عندى فيهما مزيد » . وتبطَّأ الوصيف بإحضار الدرج والدواة لموسى بن محمد[2] ، وموسى مطرق أن يتأنى[3] له القول فى الزيادة التى استمطرها[4] منه الأمير ، فقال : « قد جاءنى يا سيدى — بسَعْدك — بعضُ الذى أردته » ، واندفع فوصل البيتين بقوله :

---

(١) من هنا ينقل ابن الأبار عن المقتبس ، ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢) الأصل : موسى بن موسى .

(٣) المقتبس (ص ٣٥) : إلى أن تأتى .

(٤) الأصل : أمتطرها ، والتصويب من المقتبس (ص ٣٥) وابن الأبار ينقل عن ابن حيان هنا حرفاً بحرف .

فياشرَّ ضيفٍ حلَّ بى ، وحلولُهُ يُخَبِّرنى أنَّ الممات قريبُ
وأنَّ جديدى كلَّ يومٍ إلى بِلَى وأنِّىَ من ثوب الشباب سليبُ
فما طِيبُ عيشِ المرء إلا شبابُهُ وليس إذا ما بان عنه يطيبُ
سأُفريك يا ضيفَ المشيب قِرى القِلَى فمالك عندى فى سواه نصيبُ
وأبكى على ما قد مضى من شبيبتى بكاءَ محب قد جفاه حبيبُ
مضى مُسْلَمًا لهفى عليه! مدى المدى فليس إلى يوم التنادِ[1] يؤوبُ

فسُرَّ الأمير عبد الله بما أتى به ، وأثنى على قريحته .

وأنشد له أبو عامر السالمى[2] فى كتاب « حلية اللسان وبغية الإنسان » فى التشبيهات من تأليفه :

ليت شعرى كيف يَفْرى لحظُهُ من شِغاف القلبِ باللحظِ الأكَلّْ
طَرْفُه ساجٍ ، وفيه مرضٌ كم صحيحٍ قد رماه فقتَلْ

---

(١) الأصل : الثناء ، وقد قرأها دوزى : التناء . وصوبناها عن أصلها عند ابن حيان (المقتبس ، ٣٥) .

(٢) أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلوىّ السالمى الطرطوشى ، من أهل طرطوشة وسكن مرسية ، وسمى السالمى لأن أصله من مدينة سالم ، مؤرخ أديب عمر طويلا فى مرسية وتوفى فيها سنة ٥٥٩/١١٦٣ . ترجم له ابن الأبار فى التكملة ، رقم ٧٢٥ ، والضبى فى البغية ، رقم ٣١ . تنسب إليه كتب فى اللغة والأدب والشعر والتواريخ والحديث كما يقول الضبى ، نقل عنه ابن عذارى كلامه فى غزو النورمانيين للأندلس سنة ٢٢٩/٨٤٣ ، وقد نقل دوزى هذه القطعة فى « أبحاثه » ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٥٠ ، ونقل المقرى فى نفح الطيب (طبعة أوروبا) ٨٢/١ فقرة من كلامه عن فضائل الأندلس . وينسب إليه من الكتب ، غير الذى ذكره ابن الأبار : « درر القلائد وغرر الفوائد » وهو أكبر كتبه وأكثرها ذكراً فى المراجع ، وكتاب « السلك المنظوم والمسك المختوم » .

انظر : تعليقات جايانجوس على ترجمته الإنجليزية لجزء من نفح الطيب ، ج ١ ص ٣١٣ ، وفهرس مخطوطات الإسكريال للغزيرى ٤٠/٢ . وذكره حاجى خليفة تحت رقمى ٧٦١٤ و ٩٩٧٥ من طبعة أوروبا وبونس بويجيس ، رقم ١٨٧ ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

مَن لِمُجيرى من رشاً ألحاظُه إنما تُذْكرنى وقعَ الأسَلْ

وقرأت فى تاريخ الحُمَيدى أن صُهيب بن مَنيع — وكان قاضياً بإشبيلية — كان نقش خاتمه :

يا عليماً كل عيبٍ كن رفيقاً بصُهيبِ

وأنه كان يشرب النبيذ — لعله كان يذهب مذهب أهل العراق — فشرب[1] مرة عند / الحاجب موسى بن حُدَيْر — وكانَ من عظماء الدولة [١١٧-ا] الأموية — فلما غفل أمر باختلاس خاتمه ، وأحضر نقاشاً فنقش تحت البيت المذكور :

واستر العيبَ عليه إن فيه كلَّ عيبِ

ورد الخاتم إليه . وختم القاضى به زماناً حتى فطن له .

٩١ — أحمد بن عبد الملك بن شُهيد
الوزير ، أبو عمر

هو أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شُهيد بن عيسى بن شَهيد بن الوَضّاح الأشجعى .

---

(١) الأصل : فشرد ، والتصويب من بغية الملتمس للضبى ، وقد أورد الحكاية بنصها فى كلامه عن صهيب بن منيع (رقم ٨٥٦ ص ٣١٢) .

وترجمة أبى الوليد بن الفرضى لصهيب بن منيع أوفى مما هى عند الضبى ، فقد ذكر فى رقم ٦٠٢ جـ ١٦٨/١ أنه يكنى أبا القاسم وأنه من تلاميذ بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح وإبراهيم بن قاسم ابن هلال ومطرف بن قيس وعبد الله بن مسرة ، وأن عبد الرحمن الناصر ولاه قضاء إشبيلية وأنه توفى فى ١٢ رجب ٣١٨ .

وقال الرازى إن جدهم مولى معاوية بن مروان بن الحكم . وكان الوَضّاح مع الضحاك بن قيس يومَ مَرْج راهِط . وشُهَيد بن عيسى هو الداخل إلى الأندلس فى أيام عبد الرحمن بن معاوية ، وتصرّف بنوه للخلفاء فى الخُطَط السنية ، من الإمارة والحجابة والوزارة والكتابة ، إلى انقراض الدولة الأموية بالأندلس .

وتصرّف أحمدُ هذا للناصر عبد الرحمن بن محمد فى ولاية الكُوَر والوزارة وقَوْد الصوائف ، وغزا البَشْكُنْس . وهو أول من سُمى بـ « ذى الوزارتين » . وكان من أهل الأدب البارع . حكى الحُمَيدى عن أبى محمد بن حزم بسندٍ ذَكره أن أحمد بن عبد الملك هذا زار عبد الملك بن جَهْوَر الوزير — وكانا جميعاً يخدمان الناصر عبد الرحمن — فوافقه محجوباً ولم يمكنه الاجتماع به ، فكتب إليه :

أتيناك ، لا عن حاجةٍ عرضتْ لنا ... إليك ، ولا قلبٍ إليك مشوقِ
ولكننا زرنا ـ بضعف عقولنا ـ ... حماراً تولى برَّنا بعقوقِ

فأجابه ابن جَهْوَر بقوله :

حجبناك لما زرتنا غيرَ تائقٍ ... بقلبِ عدوٍّ فى ثيابِ صديقِ
وما كان بيطار[1] الشآمِ بموضعٍ ... يباشر فيه برَّنا بخايقِ

وذكرتُ بقول ابن شُهَيد قولَ عبد الملك بن سعيد المرادى الخازن :

ما حمدناك إذ وقفنا ببابكْ ... للذى كان من طويل حجابكْ
[١١٧-ب] بل ذَممنا الزمانَ فيك وقلنا : ... أبْعد اللهُ كلَّ دهرٍ أتى بكْ !

(١) عبد الملك بن محمد بن جهور يعير أحمد بن شهيد فى هذا البيت بما يقال من أن جده وضاحاً كان يعمل بيطاراً فى الشام قبل أن يخدم معاوية بن مروان بن الحكم ويدخل فى ولائه .

ولأبى عمر بن شُهَيد :

جريتُ مع العشاق فى حَلْبة الوَجْدِ ففاتهم وضلى وما عرفوا جهدى
وما نهج العشاقُ فى الحب منهجاً ولا سلكوا إلا السبيل التى أهدى
وما أضمر العشاقُ فى الوجد غايةً من الشوق إلا وهى من بعض ما أبدى
وما ضعفوا عن حمل ثقل [.....] [....][1] اضطلعتُ به وحدى
أنا فاتحُ المنهاجِ فى سُبلِ الهوى كما عابدُ الرحمٰن[2] فاتحةُ المجدِ
وخاتمـــةُ العشاق شرقاً ومغرباً كما عابدُ الرحمٰن خاتمةُ الرشدِ

٩٢ — ابنه عبد الملك بن أحمد الوزير ، أبو مروان[3]

كان على طُلَيْطِلَة لهشام بن الحَكم المؤيد ، ومنها خاطبه مهنئاً بمقتل غالب القائد صاحب مدينة سالم فى خلافه . ومن شعره :

---

(١) بياض بالأصل لم أستطع سده من المراجع التى تحت يدى ، لأن أخبار أحمد بن شهيد هذا قليلة ، ويخلط بعضهم بين أحمد هذا وحفيده أحمد بن شهيد الشاعر المشهور أيام الطوائف ومعاصر ابن حزم .

وليس من العسير سد هذا الفراغ بشىء مثل :

وما ضعفوا عن حمل ثقل [عرفته] [وناءوا به إلا] اضطلعت به وحدى

(٢) المراد عبد الرحمن الناصر .

(٣) عبد الملك بن أحمد بن شهيد نقطة تحول كبير فى تاريخ بنى شهيد ، فبعد الجلالة التى كانت لآبائه منذ أيام عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر ، نجد عبد الملك بن شهيد وزيراً من وزراء المنصور ونديماً من ندمائه ، بل كان أقرب هؤلاء إليه وأكثرهم اجتهاداً فى مرضاته حتى لقد حاول أن يرقص فى مجلسه رغم سنه العالية ، فتحامل على أصحابه ليسُرَّ المنصور (راجع نفح الطيب للمقرى ، طبعة أوروبا ، ١/٢٦٠ — ٢٦١ و٢/١٧٧) . وقد ترجم لعبد الملك بن شهيد من الناحية العلمية والأدبية أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال فى الصلة

طلع البـــدرُ علينا فحسبناه « لَبِيبـــا »
والتقينـــا فرأينا هُ بعيـــداً وقريبا[1]

وله :

قصَّرتَ عن شأوى فعادِيْتَنى أقْصِرْ فليس الجهلُ من شأنى
إن كان [قد] أغناك ما تحتوى بُخْلاً ، فإن الجودَ أغنانى

٩٣ – عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الوزير ، أبو وهب[2]

هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرءوف بن عبد السلام بن إبراهيم بن يزيد بن عبد الله بن جابر بن عمر بن أيوب ، مولى مروان بن الحَكَم .

=(رقم ٧٥٦ ص ٣٤٩) فذكر كيف أخذ عن قاسم بن أصبغ وأبى الخزم وهب بن مسرة الحجارى ، بل سمع منه ناس أجلاء مثل أبى عبد الله بن عائذ الذى ذكره فى فهرسة شيوخه بكلام كثير وقال إنه كان « أوحد الناس بالتقدم فى علم الخبر والتاريخ واللغة والأشعار وسائر ما يحاضر به الملوك مع سعة روايته للحديث والآثار ، وهو مؤلف كتاب « التاريخ الكبير فى الأخبار على السنين » بدأ فيه من عام الجماعة سنة ٤٠ وانتهى إلى أخبار زمانه المنقطعة بوفاته رحمه الله ، وهو أزيد من ١٠٠ سفر . كانت صحبتى له نحو عشرة أعوام أوفوقها ، إذ كان مجاوراً لنا بمنية المغيرة لما استقرب المنصور رحمه الله لقاءه بإسكانه فى منية النعمان بالناحية المذكورة » ، ثم ذكر – روايةعن ابن الفرضى – أنه توفى ليلة الأحد ٤ ذى القعدة ٢٣/٣٩٣ سبتمبر ١٠٠٤ . وكانت منيته من ذبحة أصابته . وكان فى السبعين من عمره لما توفى .

(١) الأصل : قريباً وبعيداً .

(٢) فى هذا الفصل يورد ابن الأبار موجزاً طيباً جداً لتاريخ ذلك البيت الأندلسى الكبير الذى عرف أفراده ببنى عبد الرءوف ، وكانوا من الظاهرين بين الشاميين من موالى الأمويين .

وزيادة فى التوضيح جعلت لكل رجل من رجال البيت فقرة خاصة . وقد نسب البيت إلى عبد الرءوف ، ولو أنه لم يكن الجد الأعلى ، ولكنه أول من وصل إلى الوزارة من أفراده .

وكان عبد الله بن جابر قاضياً لعمر بن عبد العزيز بالشام ، ودخل الأندلسَ من عقبه عبدُ السلام بن إبراهيم وأخواه أبو المفوز وعُقْبة فتناسلوا بها ، وخدموا الخلفاء وتصرفوا فى الولايات .

وحكى أبو بكر الرازى أن عبد السلام ولد اثنى عشر ولداً . قال : وكان أميناً[1] للأمير عبد الرحمن بن معاوية بكورة إلبيرة ، ويكنى أبا الدِّلهاث .

ووَلىَ ابنهُ عبد الرءوف / طليطلةَ وما والاها للأمير عبد الرحمن بن الحَكم [١١٨-١] سبعةَ أعوام ، وتصرف فى كثير من الكُوَر ، ثم استوزره فى أخريات أيامه . واستوزره أيضاً الأميرُ محمد بن عبد الرحمن ، وتوفى وهو وزير .

ووَلىَ عبدُ الوهاب بن عبد الرءوف الكورَ المجندة وغيرها ، أيامَ الأمراء محمد وابنيه المنذر وعبد الله ، وتوفى بإشبيلية وهو عامل عليها .

ووَلىَ محمدُ بن عبد الوهاب كورةَ جَيّان ومات بها .

وتصرَّف عبدُ الوهاب بن محمد هذا لأمير المؤمنين الناصر عبد الرحمن بن محمد فى الولايات والأمانات ، ثم استوزره . وذكره أبو بكر الزبيدى فى كتاب « طبقات النحويين » من تأليفه ، وقال : كان بصيراً بالعربية ، طالع كتاب سيبويه ونظر فيه . وكان ذا كِبْر عظيم وبأوٍ مفرط ، ويُظهر مع ذلك زهداً .

---

(١) الأمين هو المتولى شؤون المال فى الكورة ، فهو الذى يقوم بجباية الضرائب المختلفة واستنزال نفقات الموظفين والأعمال العامة ورواتب الجند ، وإرسال الباقى . (وكان يسمى « القائض » أو « المستفاض ») إلى الإدارة العامة بقرطبة ، وكانت هذه الإدارة مجموعة من المبانى ملحقة بالقصر يُدخل إليها من باب يسمى بباب السُّدَّة ، ولهذا عرفت كلها باسم باب السدة ، وكان يتبع الأمين عدد كبير من الجباة والحُسّاب والمشرفين (جمع مشرف) وهم أشبه بالمفتشين الماليين . وقد يسمى الأمين خازناً أيضاً ، ولو أن هذه التسمية تختص فى الغالب بالمتولى لشؤون المال فى قرطبة ، فيقال الخازن والمراد به شىء شبيه بوزير المال . وقد جرت العادة بألا يقتصر على خازن واحد ، بل نجدهم فى الغالب ثلاثة يسمون الخُزّان أو الخَزَنة .

والأمين هنا غير الأمين بمعنى نقيب أهل حرفة من الحرف .

ووَلِىَ الوزارة ، فكان لا يزال يورد على أصحابه من الوزراء مسائلَ من عويص النحو ، حتى بَرِموا به واستعفَوْه من ذلك . وهو القائل ، وكان سِنَاطاً :

ليس بمن ليست له لحيةٌ بأسٌ ، إذا حَصَّلته ، ليْسَا[1]
وصاحبُ اللحيـــةِ مستقبَحٌ يشبه فى طلعته التيســـا
إن هبتِ الريحُ تلاهتْ بهِ وماستِ الريحُ به مَيْسا

وله :

قتلتْ عيناكَ عبدَكْ قبل أن تقضىَ وعدَكْ
حُلتَ عن عهدِ محبٍّ لم يزل يحفظ عهدَكْ
ما لأفعـــالك [...] [...] لا تشـــبه ندكْ[2]

وله :

إذا ما بدا يُعْشِى العيون بسُنةٍ منافية تُغنِى عن الشمس والبدرِ
ووجهٍ إذا ما الأنجمُ الزُّهْرُ أبْصرتْ محياه ظنته من الأنجم الزُّهر

وله :

أحْوَذِىٌّ فى مجده أوْحَدِىٌّ ليس يُحكَى سناؤه وسَناهُ
من رآه فقد رأى الغيثَ واللي ثَ جميعاً فى بأسه ونداهُ
يستميل العيونَ منـــه رواء ترتوى من حيائه وحياهُ[3]

---

(١) أورد نفس الأبيات أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى فى « طبقات النحويين واللغويين » ، بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٢١ . وقد وردت كلمة ليسا فى الأصل ليْسَا ، وهكذا قرأها دوزى ، فصوبتها على أصلها عند الزبيدى .

(٢) البياضان بين المعقوفات واردان بالأصل . وقد وردت « فدك » دون نقط .

(٣) الأصل :

يستميل منه العيـــون رؤى وترتوى من حيـــائه وحياه

وهو غير واضح ووزنه غير مستقيم . وقد صوبه دوزى (ص ١٣٠) كما أثبتناه .

إن بدا خِلتَ أنه قمرُ الأر ض وصِنْواه حولَه كوكباهُ

[وله :][1]

/ليهنى الناسُ فى مُلكه[2] أن ابنَه التاسعُ من بَعدِهِ[3] [١١٨-ب]
يقوم فى المُلك مقاماتِهِ ويحتذى فيها على قصده
أوتى حكماً فات فيه الورى فكاد أن ينطق فى مهده
حُمِّل أعباء العُلَى فاكتفى عفواً ولم يبلغ إلى جهده

ودخل يوماً على عبد الملك بن جَهْوَر الوزير فأقعده إلى جنبه ، ومال إليه بحديثه ، ثم دخل الخَرُّوبى[4] فأقعده فوقه ؛ فخرج أبو وهب مغضباً وكتب إليه :

بلوتُك أسْنى العالَمين وأفضلا وأهذبَ فى التحصيل رأياً وأكملا
فقل لىَ : ما الأمر الذى صار مُخْجِلى لديك فأضحى مُسقِطاً لىَ مُخْجِلا ؟

---

(١) أضفتها لسياق الكلام . (٢) هذا الشطر غير مستقيم الوزن .

(٣) هذه الأبيات — كما هو واضح — تهنئة لعبد الرحمن الناصر بابنه الحكم ولى عهده ، والحكم بالفعل هو تاسع أمراء وخلفاء البيت الأموى الأندلسى .

(٤) محمد بن عبد الله الخروبى من كبار رجال « التدبير » أى الإدارة المدنية أيام عبد الرحمن الناصر ، فقد ولاه فى أول سنة لإمارته (سنة ٣٠٠ هـ) خزانة السلاح مع العَقل ، مشتركاً فى خزانة السلاح مع حسين بن أحمد الكاتب (ابن عذارى : ٢/١٥٩) ، وفى السنة التالية ولاه خطة العَرض مع آخرين (ابن عذارى : ٢/١٦٤) ، وفى سنة ٣١٠ رقاه إلى ولاية المدينة أياماً يسيرة (نفس المرجع : ٢/١٨٣) ، وفى سنة ٣١٣ ولاه خزانة السلاح منفرداً بها (نفس المرجع : ٢/١٩١) ، ثم تولى خطة صاحب المدينة سنة ٣١٤ ، وفى هذه الوظيفة مات فى أول صفر منها .

وكان لمحمد الخروبى أخ يسمى أحمد بن عبد الله الخروبى تولى خطة العرض سنة ٣١٠ أيام الناصر (ابن عذارى : ٢/١٨٣) . وكان له ابن يسمى عبد الله بن محمد بن عبد الله الخروبى تولى فى حياة أبيه بعض الوظائف الصغيرة .

و « العَقل » المذكور فى هذا التعليق خطة ، أى وظيفة مالية ، وتسمى « الاعتقال » أيضاً ، اختصاصها الحياطة على أموال المتوفين أو الغائبين أومن تطالبهم الدولة بأموال حتى يتم الفصل فى أمرها . والإشارات قليلة فى النصوص عن هذه الخطة .

تُقدِّم من أضحى تقـــدَّم لومُهُ لقد ضل هذا من فعالك مشكلا
وما كنت أرضى ـ يعلم الله ـ أننى أساويه فى الفردوس داراً ومنزلا
فإن كنتَ قد قصرتَ بى عن محلتى صبرتُ ، وما زال التصبر أجملا
ورحت على الدهر المليم ألومهُ فقد هيض أعلاه وغودر أسفلا
وكنتَ جديراً فى كمالك أن ترى لمثلى نصيباً من ودادك أجزلا

فأجابه عبد الملك بأبيات منها :

غَدرتُك[1] ، إلا أنَّ فَرط محبتى وإخلاصَ ودى سهَّلا لى التدلُّلا[2]
ظلمتُك فيما كان منىَ مجملاً على غير تحصيلٍ وعاتبتَ مجملا
تقربتَ من قلبى ، وإن كنتُ آخراً وأُخِّرَ عن قلبى ، وإن كان أوَّلا
وما أجهلُ القدْرَ الذى أنتَ أهلهُ ولا شرفاً أضحى عليك مظلِّلا
فإن عنّ[3] تقصيرٌ بغـــير تعمُّدٍ فغَطِّ عليـــه منعماً متطوِّلا

[١١٩-١] ٩٤ ـ أخوه /غالب بن محمد بن عبد الوهاب ، أبو عبد السلام

وَلى خطة العَرض ، وكتب للحَـكم وهو ولى عهد فى حياة أبيه الناصر ؛ ذكر ذلك الرازى . وأنشد له صاحب « الحدائق » :

---

(١) يريد : ظلمتك .

(٢) يريد : جعلا لى دالة عليك .

وورد هذا اللفظ عند الزبيدى (ص ٣٢١) : التذللا ، ورواية ابن الأبار أصح . وهناك خلافات أخرى بين النصين لا تغير المعنى ، فلم نر الإشارة إليها ، فيما عدا لفظ « ضل » فى الشطر الثانى من البيت الثالث ، فقد ورد عند الزبيدى : ظل ، وهو أحسن .

(٣) الأصل: عز ، والتصويب من الزبيدى (ص ٣٢٢) وقد أسقط ابن الأبار هنا أبياتاً وردت عند الزبيدى .

جُفون هَمَتْ مذ غاب عنها حبيبُها ونفسٌ بها للشوق نارٌ تُذيبُها
تيقَّنْتُ إذ ودَّعْتها أن مهجتى سيقضى عليها شوقُها ونحيبُها[1]
شققتُ جيوبى يوم بانتْ ، وطالما أطالَ عذابى ما طوتْه[2] جيوبُها
وللحب حالاتٌ تمرُّ خطوبُها إذا قُرنت بالبَيْن تحلو[3] خطوبُها
معذِّبتى ، لا تأسفى ، فلعلَّها تعـــود لياليا القصارُ وطيبُها
ألا ليتَ نفْسى تستطيع فداءها ويا ليتَها من كل خيرٍ نصيبُها
يعيبونها عمداً لأسلوَ ذِكرَها وما عاب إلا نفسَه من يعيبها

٩٥ — جهور بن عبيد الله بن أبى عبدة الوزير ، أبو الحَزْم

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الرازى ، فى تأليفه فى الأنساب المسمى بـ « الاستيعاب » : الوزير جَهْوَر بن عبيد الله هو جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغَمْر بن يحيى بن عبد الغافر بن حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر[4] .

---

(١) الأصل ودوزى (١٣٢) : نجيبها .
(٢) قرأها دوزى (١٣٢) : ضوته .
(٣) قرأها دوزى (١٣٢) : يحلو .
(٤) هنا أيضاً يوجز ابن الأبار تاريخ بيت ثان من بيوت الموالى الشاميين ، وهو بيت أبى عبدة الذى تفرع عنه فيما بعد بيت بنى جهور .
وقد كتب اسم حسان بن مالك ، حسان بن ملك ، والأول أصح بحسب ما نعلم ، وقد صوبت كتابة الاسم كما كتبه ابن الأبار نقلا عن أحمد بن محمد الرازى ، وإلى أن نعثر على كتاب الرازى لا نستطيع القطع بالصورة الصحيحة للاسم .
وبيت بنى عبدة هو بيت حسان بن مالك . الداخل إلى الأندلس سنة ١١٣ / ٧٣١ ومن نسله جاء جهور بن عبيد الله بن محمد .

وكان عبد الله مملوكاً لمروان الحَكم ، أبلى يومَ وقيعة مَرْج راهِط بلاءً حسناً فأعتقه .

والداخل من أجداد هذا الوزير حسان بن مالك ، وهو أبو عبدة . وكان دخولُه سنةَ ثلاث عشرة ومائة ، قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية بخمس وعشرين سنة . وولد حسان بالمشرق أولاداً قُتلوا ، إلا عبد الغافر لصغره ، فنشأ مع عبد الرحمن بن معاوية ، وتأدب معه بالمشرق . ولما قدم بدرٌ مولى عبد الرحمن بخبره إلى مواليه الشاميين ، استراح به إلى أبي عبْدة[1] ، فوجَّـــه ابنَه عبد الغافر إليه[2] .

فلما توطد عبد الرحمن ، استوزر أبا عبدة واستقْوده ، ثم استعمله على
[١١٩-ب] إشبيلية قائداً بها ، ومضيقاً على أهل باجة وغيرها ، فملك الغرب أجمع/ خمسةَ أعوام ، إلى أن توفي بإشبيلية ؛ وقبره بها[3] .

= ابن الغمر وبعد جهور بن عبيد الله يصبح الاسم الغالب على البيت بيت بنى جهور ، ومن هذا البيت ينحدر أبو الحزم بن جهور الذى تولى أمر قرطبة بعد إلغاء الخلافة الأموية سنة ٤٢٣ / ١٠٣١ ومن هنا جاء الخلط بين هؤلاء الجهاورة والجهاورة المنحدرين بنْ يوسف بن بخت من موالى عبد الرحمن الداخل .

(١) أى أن بدراً عندما عبر إلى الأندلس من المغرب حاملا إلى الموالى الشاميين خبر وجود عبد الرحمن بن معاوية عند قبيلة نفزة على مقربة من طنجة ، وأنه يرغب فى العبور إلى الأندلس ويرجو عونهم ، أفضى بدر بالخبر أولا إلى حسان بن مالك المعروف بأبي عبدة .

(٢) أى أن أبا عبدة حسان بن مالك أرسل ابنه عبد الغافر إلى عبد الرحمن فى ملجئه عند قبيلة نفزة ليطلعه على أحوال الأندلس ويؤكد له استعداد الموالى لتأييده .

(٣) كانت إشبيلية وما يليها من غرب الأندلس ، وأكبر مدنه إذ ذاك باجة وماردة وقورية ، من مراكز الثورة الكبرى على عبد الرحمن الداخل ، وقد اجتهد هذا فى القضاء عليها وتمهيد أمور الغرب طوال إمارته كلها . وقد تزعم الثورة فى إشبيلية عبد الغافر اليمانى رأس العرب اليمنية ، وفى باجة العلاء بن مغيث الجذامى ، وكان قد لجأ إلى الدعوة العباسية ونادى بها ، وقد تمكن عبد الرحمن من القضاء على عبد الغافر وإرغامه على الهرب إلى المشرق حوالى سنة ١٤٥ ، وقتل العلاء بن مغيث بعد معركة عنيفة سنة ١٤٦ ، وولى عليها عبد الرحمن زعيما يمنياً هو أبو الصباح ابن يحيى اليحصبى ، فثار عليه ، وتمكن عبد الرحمن من القضاء عليه أيضاً سنة ١٥٠ . وأما لبلة فقد ثار فيها يمنى آخر هو سعيد اليحصبى المعروف بالمطرى ، واتسع مدى ثورته حتى استولى على إشبيلية ، وقد تمكن عبد الرحمن من القضاء عليه وقتله سنة ١٤٩ . =

وتصرف عبدُ الغافر فى الوزارة للإمام عبد الرحمن ، و بَرِىءَ[1] إليه بخاتمه ، إلى أن مات .

قال : وأما عبيد الله بن محمد بن العَمْر ، فإنه تصرَّف فى الكُوَر وحِجابة الأولاد والمدينة والخيل والكتابة والقيادة ؛ وقد تقدم ذكر ذلك .

قال : وتصرَّف جَهْوَر بن عبيد الله فى الكُوَر والأمانات والقيادة والمدينة والوزارة للناصر .

وقال غيره : كان عبيد الله والد أبى الحزم هذا — مع تحققه بالمعرفة والأدب والبلاغة — ذا بأس وشجاعة وغناء فى الحروب ، وله فتوح جمة ومَقَاوِم حَميدة . واستأذن الأمير عبد الله بن محمد فى آخر دولته لقضاء فريضة الحج فأذن له ، وحج ثم انصرف إلى قرطبة فانقبض عن السلطان ، وأخلد إلى الخمول ، وأقام على حاله تلك فى داره إلى أن توفى سنة ست وتسعين ومائتين ، آخرَ أيام الأمير عبد الله .

وتصرف ابنُه جَهْوَر بعدَه — فيما ذكره الرازى — وكان شاعراً مكثراً ؛ فمن شعره قوله من أبيات فى تفضيل الورد ، وكأنه يرد بها على ابن الرومى[2] :

= وهذا الخبر الذى يورده ابن الأبار عن تولية أبى عبدة حسان بن مالك قائداً فى إشبيلية والغرب كله يفسر لنا سبباً من أسباب انتصار عبد الرحمن على هذه الثورات كلها .

(١) الأصل : بَرَى ، وقرأها دوزى (ص ١٣٣) : رمى .

(٢) كان لقصيدة ابن الرومى فى تفضيل الورد ومطلعها :

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا ، توردُها عليه شاهد

صدى بعيد عند شعراء الأندلس ، وقد أورد أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميرى فى « البديع فى وصف الربيع » (ص ٧٠ وما يليها) طائفة من ردود الأندلسيين عليه ومحاولاتهم مضاهاته ، مثل قصيدة أبى عثمان سعيد بن فرج الجيانى ومطلعها :

عنى إليك ، فما القياسُ الفاسدُ إلا الذى أدى العيانُ الشاهدُ

وقصيدة أبى بكر بن القوطية التى مطلعها :

كُسفت خدود النرجس المصفر من حسدٍ ، وقد يَدْوى العدو الحاسد =

خضعت نواورُ الرياض لُحسنهِ فتذلَّلت تنقاد وهى شواردُ
وإذا تبدَّى الوردُ فى أغصانه ذاتَ[1] ، فذا ميتٌ وهذا حاسدُ
وإذا أتى وفد الربيع مبشِّراً بطلوع صفْحته فنعم الوافد
ليس المبشَّر كالمبشَّرِ باسْمِهِ خبرٌ عليه من النبوة شاهد
وإذا تعرَّى الوردُ من أوراقهِ بقيتْ عوارفُه فهنَّ خوالد

وله :

يا عاتباً لى بالصـــــدو دِ ألا ذكرتَ قبيحَ غدْرِكْ ؟
أخليتَ من قلبى مكا نًا كان معموراً بذكْرك
وأنا أحبكَ لو وثِقْـ ـت وأستديمُ بقاء عُمرك

وله :

[١٢٠-١] /يا لائمًا والـــظلمُ مِنْـ ـهُ ظاهرٌ لِى والفظاعهْ
كم قد ضرعتُ وقد سمعـ ـتَ فما لويتَ إلى الضراعه
فلئن رجعتَ كما علمـ ـتُ لأقطعنْ فيكَ الجماعه
ومتى لججتَ على الأذى جازيتُ فعلَك فىَّ صاعَهْ

وله :

أسأتَ ـ لعَمرى ـ إذ أسأتَ بى الظنّا وألزمتَنى ذنباً شَغلتَ به الذهنا
تجنيتَ فى عَذْلى كأنىَ مذنبٌ رُويدكَ ، إن العذلَ قد يوجب الشحْنا
فلا تتجنَّ الذنبَ من غير علةٍ فرب تجنٍّ يورث الحقدَ والضِّغنا

= ولم يشر فى هذا الموضع إلى أبيات أبى الحزم جهور بن عبيد الله ، وهى من طائر الشعر فى الأندلس ، وقد رواها معظم مراجعنا .

(١) جعلها دوزى (ص ١٣٤) : يزهو ، وقد أخذ ذلك عن « مطمح الأنفس » لابن خاقان (طبعة الجوائب ، الآستانة ١٣٠٢) ص ١٥ .

وإنى امرؤٌ محضُ المودةِ مخلصٌ أصافى خليلِى بالذى هو بى أسْنى
وإن [زَلَّ][1] يوماً فى ودادى أقلتُه وقارضتُه فى ذاك[2] بالصحبة الحسْنا
وهل لى ـ فَدَتْك النفسُ ـ دونَك راحةٌ وأنت شقيق النفس والأقربُ الأدنى ؟
فثق بى ، ولا تعجل علىّ ، فإننى أدين بما تَرضى ، وأعنَى بما تعنَى
ولا ذنب لى ـ فيما علمتُ ـ ولم أكن لأصغى إلى الواشين فى قِيلهم أذْنا

وله :

انظر إلى محنِ الزما ن تَزِدْك فى الدنيا اعتبارَا
واسمع لنعى الذاهبي ن وكن كواحدهم حذارا
واعمل بجد الخائفي ن ولا تنم إلا غرارا
واعلم بأنك لاحقٌ من قد كرهتَ له جوارا
إن الليالى ما فتئ ن تُكدِّر العيشَ المُعارا
وتفرِّق الشَّملَ الجمي عَ وتجلِبُ الأمرَ الضِّرارا
فحوادثٌ فيها استلبْ نَ أخاً دَعَوْنَ به فسارا
/ رزءٌ إلى جنبِ اغترا بٍ أرَّثا فى القلب نارا [١٢٠-ب]
وفجيعةٌ سَلَفَتْ وكا نت محنةً لى واختبارا
بأخٍ شقيقٍ ما أُطيـ ـقُ على رزيَّتِه اصطبارا

(١) سقطت من الأصل كلمة فى هذا المعنى والوزن ، وقد اقترح زيادتها دوزى (ص١٣٥ هامش ١) . ولم يترك الناسخ بياضاً .

(٢) جعلها دوزى : « ذلك » ولا يستقيم بها الوزن ، ومن الغريب أنه يتنبه إلى انكسار الوزن فى الشطر الأول ، ويضيف ما يقيمه ، ثم يسىء قراءة الشطر الثانى ويثبت ما يكسر وزنه .

ومنها :

اصبرْ فلستَ ترى على أحدٍ حماه الصبرُ عارا
فالصبرُ أنفعُ دُخرةً لو كنتُ آتيه اختيارا!

أنشد أبو نصر الفتح بن عبيد الله الإشبيلي فى كتاب « مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى محاسن أهل المغرب والأندلس » من تأليفه أكثر هذه الأبيات والتى قبلها ، ونسبها لأبى الحزم جَهْوَر بن محمد بن جَهْوَر رئيس قرطبة المتأخر غلطاً منه ووهماً لا خفاء به ، وإنما هى لجده جَهْوَر بن عبيد الله هذا المذكور هنا . ثم أعقب غلطَه بغلط آخر أفحش منه ، فأورد أبياتاً لابن فرج فيه يرثيه ، وأتى بعد ذلك برثاء ابن زيدون فأفرط[1] وخلط ، وألحقَ بالباطل الحقَّ . أما ابن زيدون فرثاؤه لأبى الحزم الأخير صحيح غير معترض ، وأما ابن فرج فموته من مولده مقتربان[2] ، عَمْرَكَ الله كيف يلتقيان ؟ وُلد جَهْوَر بن محمد[3] سنة أربع وستين وثلاثمائة فى المحرم ، وتوفى ابن فرج إثر وفاة الحكم المستنصر بالله فى صفر سنة ست بعدها . وللفتح أيضاً غلط ينضاف إلى ما تقدم فى نسبة بيتين لأبى الحزم هذا ، وأنشدهما الحُمَيْدى لجَهْوَر بن محمد التجيبى أبى محمد المعروف بابن الفَلُوِّ ، وهو الصحيح — لأنه ذكر أنه شاهده بالمرية وكتبهما من شعره — وهما :

قلتُ يوماً لدار قومٍ تفانوا : أين سكانُكِ الكرامُ عَلينا ؟
فأجابت : هنا أقاموا قليلاً ثم ساروا ، ولستُ أعلمُ أينا

---

(١) الأصل : ا. . . ط .

(٢) أى أن تاريخ مولد ابن فرج قريب من تاريخ وفاة أبى الحزم بن جهور.

(٣) يريد أبا الحزم بن جهور.

ولم يلق الحُمَيْدى أبا الحزم فيما علمتُ ، وإن كان عاصره . ولعل الفَتْحَ من كتابه استفاد هذين البيتين . واشتباه الأسماء جرّ هذا الخلل ، وعدمُ المبالاة بضبط المواليد والوفيات كثيراً / ما يوجد الزلل[1] . وسيأتى ذكر أبى الحزم [١٢١-١] الأندلسى الأخير فى المائة الخامسة مستوفًى إن شاء الله عز وجل .

---

(١) هذا مثل طيب جداً من تدقيق ابن الأبار وقدرته على استدراك الأخطاء . فأبونصر الفتح بن عبيد الله الذى يذكره هو ابن خاقان ، وهو أقرب عهداً إلى ما يتحدث عنه ابن الأبار ، وكان حرياً ألا يقع فى الأخطاء التى أشار إليها هذا الأخير . وقد رجعت إلى نسخة « مطمح الأنفس » التى بين أيدينا (طبعة الجوائب ، سنة ١٣٠٢) فلم أجد من الأبيات التى ذكرها ابن الأبار إلا قصيدة الورد منسوبة إلى أبى الحزم جهوربن محمد بن جهور ، وقد بدأها ببيت لم يذكره ابن الأبار وهو :

الورد أحسن ما رأت عينى وأذ كى ما سقى ماءُ السحاب الجائد

وقد أعقب ابن خاقان مادته عن أبى الحزم جهور بن محمد بن جهور بمادة عن « ذى الوزارتين أبى الفرج » ولم أستطع التعرف على أبى الفرج هذا الذى لا يكتب عنه ابن خاقان إلا بضع سجعات لا تقدم ولا تؤخر ، بل هو يسميه فى أثنائها أباعامر.

وواضح أن نسخة « المطمح » التى بين أيدينا إنما هى الصغرى ، وكان معتمد ابن الأبار على الكبرى أو الوسطى من نسخ المطمح التى كتبها ابن خاقان . وابن الأبار يشير هنا دون شك إلى أبى عمر أحمد بن فرج الجيانى صاحب كتاب الحدائق ، فهو الذى توفى سنة ٣٦٦/٩٧٦ .

وقد فرّق أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبى فى بغية الملتمس بين جهور بن عبيد الله ابن أبى عبدة وحفيده أبى الحزم جهور بن محمد بن جهور تفريقاً واضحاً ، واختص كلا منهما بمادة (رقم ٦٢٣ ص ٢٤٣ ورقم ٦٢٥ ص ٢٤٤) .

أما جهور بن محمد التجيبى المعروف بابن الفَلُّوّ فقد ذكره الضبى تحت رقم ٦٢٤ (ص٢٤٤) ونسب إليه البيتين اللذين ذكرهما ابن الأبار . ومن المعروف أن الضبى نقل كتاب جذوة المقتبس للحميدى حرفياً تقريباً . وترجم ابن بشكوال فى الصلة (رقم ٢٩٧ ص ١٣٢) لأبى الحزم جهور بن محمد بن جهور ، أى الحفيد ، دون الجد . وذكر أنه ولد أول المحرم سنة ٣٦٤ وتوفى فى ٢٣ محرم ٤٣٥ .

وترجم كذلك لجهور بن إبراهيم بن محمد بن خلف التجيبى ، وقال إنه أيضاً يكنى أباالحزم وأنه من أهل مورور ، ورحل إلى المشرق للقاء الشيوخ وقال إنه لقيه فى إشبيلية وأجاز له ماروواه عنهم . « وكان رجلا فاضلا منقبضاً مقبلا على ما يعنيه ، وتولى الصلاة بموضعه . . وتوفى ببلده سنة ٥٢٦ »

٩٦ — أخوه محمد بن عبيد الله

هو أسنُّ من أخيه جَهْوَر ، وجَهْوَر أشهر منه ، وتصرَّف محمد هذا فى الكُوَر والقيادة — قاله الرازى . وأنشد له الحُمَيْدى يخاطب أبا عُمر ابن عبد ربه :

أعِدْها فى تصابيها خداعا[1] فقد فُضَّتْ خواتمها نزاعا
قلوب يستخِف بها التصابى إذا أسكَنْتَها[2] طارت شعاعا

فأجابه :

حقيقٌ أنْ يُصاخَ لكَ استماعا وأن يُعصَى العذولُ وأن تُطاعا
متى تكشِفْ قِناعَكَ للتصابى فقد ناديتَ من كشفَ القناعا
متى يَمْشِ الصديقُ إلىّ ِبِتْراً مشيتُ إليه — من كرمٍ — ذراعا
فجدِّدْ عهدَ لَهْوِكَ حين يَبْلَى ولا تُذهبْ بشاشَته ضياعا

٩٧ — عبد الرحمن بن بدر بن أحمد

كان بدر[3] وصيفاً للأمير عبد الله ، فأعتقه وصرَّفه فى الخطط الشريفة .

---

(١) قرأها دوزى أيضًا (١٣٧) : جذاعا . والمراد : أعدها هيئة شابة .

(٢) فى الأصل : سكنتها ، وقد صوبتها للوزن والمعنى . أما دوزى فقد جعلها : سكنت لنا .

(٣) هو بدر بن أحمد الصقلى وصيف الأمير عبد الله ، وقد سبقت الإشارة إليه . ومن الغريب أن يوصف بدر فى المراجع بالخصى ويكون له رغم ذلك ابنان : عبد الرحمن هذا =

ثم ولاه الناصرُ الوزارةَ والحجابة والقيادة والخيل والبُرُد ، وكان ينفرد بالولايات فتُكتب السجلاتُ فى داره ، ثم يبعثها للطبع فتُطبع[1] وتُخرج إليه ، فيبعث فى العمال وينفذون على يديه . ووَلىَ عبدُ الرحمن هذا الكتابةَ والوزارة والعرض والخزانة للناصر ، وصرفه فى عمارة[2] كورة إشبيلية . ومن شعره :

لسانى كان من أعداء قلبى ... إذ ألْزمه الذنوبَ بغير ذنبِ
إلى من أشتكى عَدْوَى اعتذارٍ ... أمَرَّ مذاقَتَىْ طَعمى وشَربى
وأسهرَ مقلتى وأسال دمعى ... لفرط الوَجدِ ، سَكْباً بعدَ سكبِ ؟

وله :

يا وردةً وسْطَ روضةٍ سَفَرَتْ ... لو رُمتُها باللِّحاظ لانتثرتْ
ودرةً فى الجمال مُفرَغةً ... لولا حجابٌ يُكِنُّها بَهرت
دَعْ كبدى فى الضلوع آمنةً ... وخذ جفونى فإنها نظرتْ [١٢١-ب]

=وعبد الله . وكان عبد الرحمن الناصر عندما تولى الإمارة رقى بدراً إلى الحجابة – أى رئاسة الوزراء – ثم أجرى رزقا – أى قدر مرتباً – لكل من عبد الرحمن وعبد الله قدره ٣٠ ديناراً وازنة . وبعد ذلك بقليل ولى عبد الرحمن بن بدر خطة الخيل ، وفى نفس السنة (رمضان ٣٠٠) استخلف عبد الرحمن بن بدر مع موسى بن محمد بن حدير صاحب المدينة على القصر عندما خرج فى حملته على ناحية جيان ، وفى سنة ٣٠٢ عزل عبد الرحمن عن خطة الخيل ، ثم تنقل فى الوظائف بعد ذلك ، وكانت آخر وظيفة تولاها حكومة إشبيلية .

والراجح أن ابن حيان خلط بين بدر بن موسى – وكان مولى خصياً عاش وخدم أيام عبد الرحمن الناصر وظهر اسمه أواخر أيامه – وبدر بن أحمد . فقد كان بدر بن أحمد هذا فحلا لا خصيا ، كما هو واضح .

(١) أى يرسلها إلى باب السدة لتختم بخاتم الدولة ثم ترد إليه ليرسل بها إلى العمال ليقوموا بالتنفيذ تحت إشرافه .

(٢) كذا فى الأصل . والأصح هنا : عمالة ، وهى آخر الوظائف التى تولاها عبد الرحمن ابن بدر بن أحمد . ولا بأس هنا كذلك بلفظ عمارة .

٩٨ — إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد ، أبو بكر

كان مولى نعمة لبنى أمية ، ووَلىَ إشبيليةَ للناصر عبد الرحمن بن محمد ، وكان أثيراً لديه ، ومنادماً له ، وعاش إلى أول دولة ابنه الحكم المستنصر بالله . وقد حُمل عنه الحديث لسماعه من بَقِيّ بن مخلد والخُشَنى ومحمد بن وَضّاح وطبقتهم ، فاحتاج إليه الناس — ذَكره ابنُ الفرضى فى تاريخه ، وذَكر أن صناعة الشعر غلبت عليه[1] ؛ وهو أحد المكثرين . أنشد له ابن فرج فى « كتاب الحدائق » من تأليفه :

وذى لَجَبٍ كالبحر عبَّ عبابُهُ ... فضاق به رحبُ الفلا والتنائفِ
قريبُ الخُطَى ، نائى المدى ، مالئُ الملا ... بجمعٍ تراه واقفاً غيرَ واقفِ
تركنا به أرضَ العدو كأنها ... مجاهل للمرتاد غيرَ معارفِ
غدت بعد سَحْب البيض فيها ذيولها ... مَجَرَّ ذيول الطامسات العواصفِ

وله فى الناصر :

لو كان يُعبَد دونَ الله من أحدٍ ... ما كان غيرُك فى الدنيا بمعبودِ
قد فات قدرُك وصْفَ الواصفين فما ... ذكراك إلا بتحميدٍ وتمجيدِ
لما ذكرتُك يوماً قلتُ من جذلٍ : ... يا نعمةَ الله فى أيامه زيدى !

---

(١) ذكر ابن عذارى (٢/١٥٩) أن عبد الرحمن الناصر ولى إسماعيل بن بدر كتابته الخاصة فى ربيع الآخر ٣٠٠ . أما ترجمة ابن الفرضى له فهى رقم ٢١٤ جـ ١/٦٢ ، وقد أضاف إلى ما رواه عنه ابن الأبار أنه ولى أحكام السوق فحُمد أثره فيها وتوفى فى أول ولاية المستنصر بالله سنة ٣٥١ .

وذكر ابن الأبار شيوخه ومنهم بقى بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشنى ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وعبد الله بن مسرة وعبيد الله بن يحيى.

وله فى بيعة المستنصر بعد وفاة أبيه الناصر :

ائن غربت شمسٌ لقد طلعتْ شمسُ فما فى صلاح الأرض رَيبٌ ولا لَبْسُ
بمستنصرٍ بالله دانَ لمُلكِهِ وأيامِـه الميمونة الجنُّ والإنسُ
تولَّى أميرُ المؤمنـين فأصبحوا وما بينهم نجوى بعَدْوى ولا هَمْس
فلا سُقيتْ أرضٌ بغيرِ سحابِه بِلالاً ، ولا سُرَّتْ لساكنها نفس
وإن شد حِلسٌ لا يكون ثيابهُ فلا نهضت يوماً بمن شده عَنْس

/ وأنشد له الحُمَيْدى عن أبى محمد بن حزم : [١٢٢-١]

أناجى حُسنَ رأيك بالأمانى وأشكو بالتـوهُّم ما شجانى
ولى بـ«عسى» و «لو» و «لعل» رَوْحٌ ينفِّسُ عن كئيب القلب عانِ
ومَحْضُ هوًى بظهر الغيبِ صافٍ ترى عينـى به من لا يرانى
على ذاك الزمانِ — وإن تقضَّى — سـلامٌ لا يَبيدُ على الزمانِ
كفانى — يامدى أملى — بعادٌ تمنيتُ الماتَ له ، كفانى

وله يرثى ابنه :

غرستُ قضيباً زعزعتْه يدُ الرَّدى فخلوا دموعَ العين تبكِ على غرسى
وهـذا حَمامُ الأيْكِ يبكى هَديلَه فما لهديلى لا تذوبُ له نَفْسى ؟

وله فيه :

ما حُزنُ يعقوبَ على يوسفٍ أشـد من حزنى على أحمدِ
أحمدُ ملحودٌ ، فهل نستوى وذاك لم يُقبَر ولم يُلحَدِ ؟
وكان يرجوه ، وهل أرتجى هذا وقد غَمَّضْتُه باليـدِ ؟

وله فى توتٍ أهداه :

تفاءلتُ بالتـــوت التّأنّى لزورةٍ وذلكَ[1] فألٌ — ما علمت — صَدوقُ
فأهديتُه غضًّا حكى حدقَ المَها له منظر بالحسن منـــه يروقُ
وبعضٌ حكى الياقوتَ منه احمرارُهُ وما مجّـــــه للذائقين رحيق
فذا سَبَجٌ — فيما يُرى — لاسوادِه وذا — لاحمرارِ اللونِ منه — عقيق

٩٩ — عبيد الله بن أحمد بن يَعْلَى بن وهب

ولاه الناصرُ عبد الرحمن بن محمد ما كان بيد أبيه — أحمد بن يَعْلَى ، قائده الجليل المقدار ، الحميد الآثار — من قيادة الجوف (بَطَلْيَوْس وأعمالها) حين نوه بأحمد المذكور ، وولاه طُلَيْطِلَةَ وأعمالَها من الثغر الأدنى ، ورفع رزقه إلى أرزاق الوزراء ، مع مقامه على خطته فى الشرطة العليا ، وسُمى قائد الأعنَّة ، وذلك
[١٢٢-ب] فى صفر / سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . فأغنى عُبيد الله فى قتال الروم غَناء أبيه ، وتوالت له فيهم فتوح . وكان أديباً شاعراً ؛ وهو القائل من قصيدة :

ترى الأرض فينا لا يَقِرُّ قرارُها إذا لم يُسُسْها من أميةَ سائسُ
ذوو الهضبات الشُّمِّ والأبْحُرِ التى تفيض ملاءً والملوكُ الأشاوسُ
هم ذهبوا بالمكرُمات ولم يزلْ لهم جبـــل العز القديم القوامسُ[2]
وهم نزلوا من خِنْدِفٍ[3] حيث تلتقى رؤوسُ قُصَىٍّ فى الذرى والمغاطس

---

(١) فى الأصل : وذاك وقد قومتها لوزن الشعر .
(٢) كذا فى الأصل . ولعل صحتها القداس تأييدًا لقدمها .
(٣) خندف هى امرأة إلياس بن مضر وقد أنجبت منه مُدْرِكة وطابخة وقَمْعَة ، وعن طريق مدركة بن إلياس اتصل عمود النسب ، أى أنها الجدة العليا لقريش ، وإلى هذا يشير الشاعر . انظر : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى (بتحقيق إبراهيم الإبيارى ، القاهرة ١٩٥٩) ص ٢٤٨ . وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ١٨٦ .

وهم غمسوا فى جَفنة الطِّيب قبل أن يُرى أحدٌ من قومهم وهو غامِس
وهم أوقدوا حربَ الفجار حفيظةً فقامت بها أعياصُهم والعنابس[1]
بهاليل من إن يستضيف إليهمُ بما شيَّدوا إلا الخصال النفائس
إذا سوجلوا لم يحتملهم مساجل وإن قويسوا لم يستطعهم مقايس
تطيف بهم ساحاتُ مكةَ فى العُلا وتكنُفهم منها البطاحُ الأمالِس

وكان أخوه يعلى بن أحمد أديباً أيضاً ، وسيأتى ذكره .

١٠٠ – جعفر بن عثمان المصحفى
الحاجب الوزير ، أبو الحسن

هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد الله بن كَسيلة من برابر بلنسية ، ينتمى إلى قيس بالحالفة .

وذكر ابنُ الفرضى فى تاريخه أباه عثمان وقال فى نسبه بعد نصر : ابن عبد الله بن حُمَيْد بن سلمة بن عَبّاد بن يونس القيسى .

وكان قد أدَّب الحَكم ، وذلك أزلف جعفراً عنده وأدناه منه فاستخدمه بالكتابة فى إمارته . ووَلىَ جزيرةَ مُيورْقة فى أيام الناصر ، ثم تقلد الحَكمُ

(١) الأعياص هم أبو العاصى والعاصى وأبو العيص أبناء أمية الأكبر ابن عبد شمس ابن عبد مناف . والعنابس هم سفيان وأبو سفيان وعمر وأبوحرب أبناء أمية الأكبر ابن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، سموا العنابس – أى الأسود – لثباتهم فى حرب الفجار واستطاعتهم نصر قريش على قيس عيلان .

انظر : المصعب الزبيرى ، نسب قريش ، ص ٩٧ .

العقد الفريد ، بتحقيق أحمد أمين وآخرين ، ٣٠٦/٣ .

الخلافةَ فاستوزره ، وأمضاه مع ذلك على كتابته الخاصة ، وضم إليه بعد مدة ولاية الشرطة ، وأخدمه ابنه هشاماً .

[١٢٣-ا] وأقام على ذلك إلى وفاة الحَكم واستخلاف هشام / ابنِه ، فحجبه يومَ قعوده للبيعة ، وذلك يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة ، وعن يمينه ويساره الفتيان جُؤذُر وفائق ، ثم أهل الخطط على منازلهم . وكان القائد محمد بن عبد الله بن أبي عامر — وهو إذ ذاك يتولى الشرطة الوسطى والسِّكة والمواريث والوكالة[1] — يشرف على عقد الشهادات فى نُسخ البيعة بين يديه ، بعد ما كان القاضى محمد بن إسحاق بن السليم يأخذها على طبقات من شهدها مِن الأعمام وأبنائهم والوزراء وضروب أهل الخدمة ورجالات قريش وأعلام قرطبة — حكى ذلك عيسى بن أحمد الرازى .

قال : ثم لما كان يوم السبت لعشر خلون من صفر المؤرخ ، قلد هشامٌ حجابتَه جعفرَ بن عثمان لقدم صحبته لأبيه المستنصر ، وكان المستنصر قد شرَّفه لتأديب أبيه عثمان بن نصر له ، وصرَّفه فى الأعمال ، وقدَّمه إلى الكُوَر ، ثم استكتبه وهو ولى عهد — وذكر نحواً مما تقدم من خبره — قال : ثم قدَّم هشامٌ المؤيدُ ابنَ أخيه هشامَ بن محمد بن عثمان إلى خطة الخيل ، ثم إلى الوزارة ، وولّى بنيه — محمداً ، وعثمان ، وعبد الرحمن — وأخاه سعيداً ، وابنَ أخيه محمداً ، الشرطةَ العليا والوسطى ، فلم ينهض بعبء ما قلده ، وخلف على المدينة ابنه محمداً

(١) أى وكالة أبناء الخليفة ، وقد أقيم محمد بن أبي عامر وكيلا للولد (أى الأمير) عبد الرحمن بن الحكم المستنصر فى ٩ ربيع الأول سنة ٣٥٦ ، « وأجرى عليه فى ذلك الوقت ١٥ دينارا فى الشهر مرتباً بالوازنة » . ولما مات عبد الرحمن هذا أقيم محمد بن أبي عامر وكيلا لأخيه هشام ابن الحكم فى ٤ رمضان سنة ٣٥٩ . وكان قبل ذلك قد تقدم للنظر فى أمانة دار السكة فى ١٣ شوال ٣٥٦ ، ثم أضيفت له الخزانة ، ثم قدمه الحكم المستنصر على خطة المواريث فى ٧ محرم ٣٥٨ ، وفى سنة ٣٦١ تولى الشرطة الوسطى .

ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢/٢٥١ .

فأساء السيرة . وزكا على المحبة أبو عامر محمد بن أبى عامر ، فبسط المؤيدُ يدَه وقبض يد جعفر بن عثمان ، فأداله وابنَ أخيه .

وقال ابن حَيّان : استطال عليه محمد بن أبى عامر بكفايته ودفاعه العدوَّ المتكالب ، لأول ولاية هشام ووفاة الحكم ، واستظهر على ذلك بمصاهرة غالب القائد مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد .

وقد كان غالب — فيما حكى الرازى — شارَك جعفرَ بن عثمان فى الحجابة ، وصُيِّر فراشُه فى الصدر ، وعن يمينه جعفر ، وعن يساره أبو عامر للوزارتين . قال ابن حيان : فأدى ذلك إلى القبض على جعفر ، وعلى ولده وأسبابه ، وعلى أخيه هشام وسائر أقاربه ، وطولبوا بالأموال . وكان ابن أبى عامر يحمل جعفراً معه فى الغزوات ، تعنيتاً وانتقاماً منه . فلما بان عجزه وضعف ، أُقِرّ بالمطبق إلى أن هلك فيه سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، فأسلِم إلى أهله فى أقبح صورة — وقيل : قُتل خنقاً[1] . وكان مقدماً فى صناعة الكتابة ، مفضلا / على طبقته بالبلاغة . [١٢٣-ب]
وله شعر كثير مدوَّن يدل على تمكنه من الإجادة ، وتصرفه فى أفانين البيان ؛ وهو القائل :

سألتُ نجومَ الليل : هل ينقضى الدجى ؟ فخطَّتْ جواباً بالثريا كخطِّ « لا » !
وكنتُ أرى أنى بآخِرِ ليـــلةٍ فأُطرقُ حتى خِلتُـــــه عاد أوَّلا
وما عن هوًى سامرتُها ، غير أننى أنافسُها المجرَى إلى رُتب العـــلا

(١) أوجز ابن الأبار كلام الرازى وابن حيان هنا إيجازاً شديداً ، وقد أورد هذه الأخبار بصورة أوفى ابن عذارى فى البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥١ وما يليها .

وله :

أما والهوى ما كنتُ أعرف ما الهوى ولا ما دواعى الشوق حتى تكلَّما
دعانى بلفظٍ لو دعا « يَذْبُلاً »[1] بهِ لَلَبَّاهُ مشتاقاً ووافاه مُغْرَمَا

وله ، ويُروى لغيره :

كلمتْنى فقلتُ : درٌّ سَقيطُ فتأملتُ عِقدَها هل تناثرْ
وازدهاها تبسُّمٌ فأرتنا عِقدَ درٍّ من التبسم آخَرْ

وله :

إنْ فاهَ أشربتِ الضلوعُ هوًى حتى كأنَّ جميعَها أذُنُ
لا تُنكروا كلفَ الضلوع بهِ فحديثُه لوجيبها سَكَنُ

وقرأت فى كتاب « الفرائد فى التشبيه » لابن أبى الحسن القرطبى منسوباً إليه :

بادرْ ، فإنَّ نذيرَ الغيثِ قد نَذَرا مجدداً لسرورٍ كان قد دَثَرا
أرْختْ عَزاليهِ واصْطَرَّت[2] بعُنصرهِ ريحُ الصَّبا واستدرَّت دمعَه فجرى
أوْفَى فبرَّد من حرِّ القلوب كما أوفى علينا حبيبٌ طالما هَجرا
فلاقِهِ بكؤوسِ الراحِ مُترَعةً شكراً له ، فكريمُ القوم من شَكرا

---

(١) يذبل هو الجبل الذى ذكره امرؤ القيس فى قوله :

فيالكَ من ليلٍ كأن نجومه بكل مغارِ الفتل شدت بيذبل

ولكن دوزى قرأها يدبل بالدال المهملة وقال يحاول تفسيرها : Diable, à ce qu'il parait وكأنه تصور أن هناك علاقة ما بين « دبل » و « دَيْبَل » أو « ديابولو » بمعنى الشيطان !

(٢) الكلمة غير واضحة فى الأصل ، وأقرب قراءة لها : واصرت ، ولا يستقيم بها الوزن . وقرأها دوزى : وأهزت ولا يستقيم بها الوزن أيضاً ، وكان أقرب لوقال : واهتزت. وقد جعلتها : واصطرت بمعنى صوتت كما فى لسان العرب (مادة صرر) .

وله فى سوسنة :

يا ربَّ سوسنةٍ قد بتُّ ألثمُها ... وما لها غير طعم المسك من ريقِ
مصفرةُ الوَسْط ، مبيضٌّ جوانبُها ... كأنها عاشق فى حجر معشوق

وله فى الخيال :

لئن سلبونى شخصَه ووصالَهُ ... لما قدروا أن يسلبونى خيالَهُ
إذا حجبتْ عنى الحوادثُ وجهَهُ ... أقام الهوى لى حيث كنتُ مِثالَهُ

وله : [١٢٤-١]

وكم مَهْمَهٍ لا يوجِد الركب مشرعاً ... قطعتُ ، وبحرٍ شامِخ الموجِ أسْفعاَ
خِضَمٍّ إذا استعلتْ به الشمسُ لم يزلْ ... يطاولها حتى تملَّ فتخضعا
تغيب وتبدو فيه حتى كأنما ... غدا مَغربا تجرى إليه ومَطلعا
إذا ما ارتمت أمواجه خلتَ أنها ... ذرى الشُّمِّ أمَّتْنا من البرِّ نُزَّعا
تقاذف فى رَحْب الجمال بَسيطُها ... يَرُدُّ وفودَ الريح حَسْرى وظُلَّعا

وله فى تفاحة :

لعمرى لئن أهدَيتُ نفسى وما حوتْ ... فأنت بها منى أحق وأملكُ
ولكننى أهدى التى[1] لا تردها ... يمينٌ ولا فيها لِذى اللحظ مَتْرَكُ
تناولتُها من غصنها وكأنها ... من الحسن ذاك الناجمُ المتفلِّكُ

وله فى سفرجلة :

ومصفرةٍ تختالُ فى ثوبِ نَرْجِسٍ ... وتَعْبَقُ عن مسكٍ ذكىِّ التنفسِ
لها ريحُ محبوبٍ وقسوةُ قلبِهِ ... ولونُ محبٍّ حُلةَ السقمِ مكتسِ

(١) فى الأصل : التى ، وقرأها دوزى (ص ١٤٤) : يَداً .

فصُفرتها من صُفرتى مستعارةٌ وأنفاسُها فى الطيب أنفاسُ مؤنِسى[1]
فلما استَتَمَّتْ فى القضيب شبابَها وحاكت لها الأنواء أبرادَ سُنْدُسِ
مددتُ يدى باللُّطف أبغى اقتطافَها لأجعلَها ريحانتى وَسْطَ مجلسى[2]
وكان لها ثوب من الزَّغب أغبرٌ يَرِفُّ على جسم من التبر أملس[3]
فلما تعرَّتْ فى يدى من لباسها ولم تبق إلا فى غلالة نرجس
ذكرتُ بها من لا أبوح بذكرهِ فأذبلَها فى الكف حَرُّ تَنَفُّسِى

وله وقد أهديت إليه رامشنة ورد فى زمن البرد ، فاستغربها وكتب إلى مهديها :

لعمرك ما فى فطرة الروض قدرةٌ يَحيلُ بها مجرى الزمان عن القَصْدِ
ولكنها أخلاقُك الغر نبَّهت بِرَبْعِكَ[4] فى كانون نائمةَ الورد

---

(١) الأصل : مونس .

(٢) الأصل : مجلس .

(٣) بعد هذا البيت أورد ابن خاقان فى « مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس » (الجوائب ١٣٠٢) ص ٥ بيتاً آخر هو :

فَبَزَّتْ يدى غصباً لها ثوب جسمها وأعريتُها باللطف من كل ملبس

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أكملتها من « البديع فى وصف الربيع » لأبى الوليد إسماعيل بن عامر الحميرى ، ص ١٢٠ . وقد أورد بعد ذلك بيتاً هو :

كأنك قد أمطرتَها ديمةَ المجد وأجريتَ فى أغصانها كرم العهد

وقد قدم الحميرى للأبيات بقوله :

« فن المستندر فى الورد قول الحاجب أبى الحسن جعفر بن عثمان المصحفى ، وقد أهدى إليه الوزير زياد بن أفلح ورداً سيق إليه من رَيَّة فى شهر كانون الآخر »

وقال بعد ذلك :

« فلما وصل هذا النظم المستملح إلى زياد بن أفلح بعث إليه بوردة كان احتبسها لنفسه ، فبعث إليه بيتين وهما :

فاجأنى كانونُ بالورد فزادنى وجداً إلى الوجد
وردُ العلا أهدى لنا وردةً يا حبذا الورد من الورد »

وله فى الخمر ، وقد أنشد ذلك أبو منصور الثعالبى فى « اليتيمة » :

/صفراء تطرق فى الزجاج فإن سَرتْ فى الجسم دبَّت مثل صِلٍّ لادغ [١٢٤-ب]
خفيت على شرابها فكأنما يجدون ريًّا فى إناء فارغ
عبث الزمان بجسمها فتسترتْ عن عينها فى ثوب نورٍ سابغ

وله :

كم ليلة بتُّ أطويها وأنشرها ولا أرى فى الذى أقضى بها حرجَا
فى فتية نُجُبٍ صاروا بمعتركٍ يجرى النعيم على الصرعى بها خلجا
والجو ملتحف [... ... ...][1] والنجم مكحولة ألحاظه دعجا
لَفُّوا دُجَى ليلهمْ فى نورِ[2] كاسِهِمُ ونفسوا من خناق الزق فانبلجا

وله :

لِعينيكَ فى قلبى علىَّ عيونُ وبين ضلوعى للشجون فنونُ
لئن كان جسمى مُخْلَقاً فى يد الهوى فحُبُّك غضٌّ فى الفؤاد مصونُ
نصيبى من الدنيا هواك ، وإنهُ عذابى ولكنى عليه ضنينُ

وله :

يا ذا الذى لم يدَعْ لى حبُّه رمقَا هذا مُحبك يشكو البَثَّ والأرقا
لو كنتَ تعلم ما شوقى إليك ، إذاً أيقنتَ أن جميعَ الشوق لى خُلِقا
لم يُبصرِ الحُسنَ مجموعاً على أحدٍ مَن ليس يبصرُ ذاك الخدَّ والعنقا

وله فى وفاة الناصر عبد الرحمن بن محمد وبيعة ابنه المستنصر بالله الحَكم ابن عبد الرحمٰن :

---

(١) بياض بالأصل .
(٢) فى الأصل : . . . وكاسهم ، فأكملتها على هذه الصورة .

ألا إنَّ أياماً هَفَتْ بإمامها لجائرةٌ مُشْتَطَّةٌ باحتكامها
تأمَّلْ : فهل مِن طالعٍ غير آفلٍ بهنَّ ، وهل من قاعدٍ لقيامها ؟
وعاينْ : فهل مِن عائشٍ برضاعها من الناس إلا ميِّتٌ بفطامها ؟
كأنَّ نفوسَ الناس كانت بنفسِه فلما توارى أيقنتْ بحِمامها
فطار بها يأسُ الأسى وتقاصرتْ يد الصبر عن إعوالها والتدامها

[١٢٥-١] / ومنها له :

إمامٌ تلقَّته الخلافةُ صبَّـــةً إلى نَسَمٍ[1] محمولة عن إمامها
فصارت إليه فى حدود تمامهِ وصار إليها فى حـــدود تمامها
فلم ينتقلْ بالناس يومَ انتقالها إليه سبيلٌ عن محل قَوامها
أتَوْه فأعطَوْه الموائق عن هوًى تمكَّن فى أبشارها وعِظامها
وناولهم كفًّا يطول الهُدى بها رضا اللهِ فى تقبيلها واستلامها
أناف على الدنيا بعينٍ محيطةٍ وقال : ادخلوا فى أمنها وسلامها !

وله :

يطالعنا فى كل يومٍ بغُرَّةٍ بنو الدين والدنيا معاً يأملونها
إذا ما تراءته العيونُ تواضعتْ لإجلاله عن أن تقل شؤونها
عليها من الرحمٰن نورُ جلالةٍ يقصِّر بالألحاظ أن تستبينها

وله مما قاله بديهاً بين يدى الحكم ، عندما بُشر بولادة ابنه هشام :

اطَّلعَ البدرُ من حِجابهْ واطَّردَ السيفُ من قِرابهْ
وجاءنا وارثُ المعـــالى ليُثبتَ المُلكَ فى نصابهْ

(١) الأصل : نسيم ، ولايستقيم به الوزن ، وهكذا صوبه دوزى ، ص ١٤٥ .

بشَّرنا سيـــــدُ البرايا بنعـــــمةِ اللهِ فى كتابهْ
لو كنتُ أعطى البشيرَ عُمرى لم أقض حقًّا لِما أتى بهْ

وله فى نكبته :

تأملتُ صَرفَ الحادثات فلم أزلْ أراها تُوافى عند مَقصدِها الحُرّا
فلله أيام مضت لسبيلها فإنىَ لا أنسى لها أبداً ذِكرا
تجافت بها عنا الحوادثُ برهةً وأبدت لنا منها الطلاقةَ والبِشرا
ليالىَ لم يدرِ الزمانُ مكانَنا ولا نظرتْ منا حوادثُه شَزْرا
وما هذه الأيامُ إلا سحائبٌ على كلِّ حالٍ تُمطر الخيرَ والشرا

وله : / [١٢٥-ب]

أجارى[1] الزمانَ على حالهِ مجاراةَ نفسى لأنفاسِها
إذا نفَسٌ صاعـــدٌ شفَّها توارت به بين جُـــلاّسها
وإن عكفت نكبةٌ للزمان عكفتُ بصدرى على راسها

وله يستعطف المنصور محمد بن أبى عامر ، وكتب إليه بها من محبسه :

هبنى أسأتُ ، فأين العفو والكرمُ إذ قادنى نحوكَ الإذعانُ والندمُ ؟
يا خيرَ مَن مُدَّتِ الأيدى إليه ، أما ترثى لشيخٍ نعاه عندَك القلم ؟
بالغتَ فى السُخْط فاصفح صفح مقتدرٍ إن الملوك إذا ما استُرحموا رَحِموا

هذه الأبيات متنازَعة ، ينسبها إلى المصحفى جماعة ، وقد وجدتُها منسوبةً إلى أبى عمر بن دَرّاج القسطلى ، وذكر أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق فى

(١) الأصل : أجاز . وقرأها دوزى (ص ١٤٦) : أجازى .

تاريخه أنها لكاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب[١] . وكلاهما أساء الردّ على من قالها وتمثّل بها ؛ أما إبراهيم فقال ، لجهله وفظاظته وقلة رحمته : « إن الملوك إذا ما استُرحموا قتلوا ! » وبعث إليه من قتله . وقرأت فى « كتاب الافتخار » لأبى بكر عَتيق بن خلف القيروانى ، أن إبراهيم بن أحمد لما قرأ رسالة كاتبه إليه من محبسه ، قال : " يكتب إلىّ « سبنى أسأت » وهو قد أساء ؟ والله لو كتب إلىّ بقول الأول :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

لعفوت عنه " ، ثم أمر به فجُعل فى تابوت وأحرق بالنار وهو حى ![٢] وأما ابنُ أبى عامر فأمر عبدَ الملك بن إدريس[٣] أن يجاوبه عن هذه الأبيات ، فقال :

---

(١) لم نجد هذه الأبيات فى ديوان ابن دراج ، ووجدتها عند ابن عذارى منسوبة إلى محمد بن حيون المعروف بابن البريدى كاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (البيان المغرب : ١٣١/١).

وقد روى ابن بسام نفس الأبيات فى الذخيرة (القسم الرابع ـ المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٥) ص ٥١ دون أن ينبه إلى شىء مما نبه إليه ابن الأبار ، وهذا من الشواهد الكثيرة على سعة اطلاع ابن الأبار بالقياس إلى علامة جمّاع كابن بسام .

(٢) لم يذكر ذلك ابن عذارى ، وهو ينقل أيضاً عن أبى إسحاق القاسم بن الرقيق ، وإنما قال : « ثم أمر ـ قبحه الله ـ به فجُعل فى تابوت حتى مات ، رحمه الله تعالى » . البيان المغرب : ١٢٢/١ .

(٣) هو أبو مروان عبد الملك الجزيرى أحد شعراء المنصور محمد بن أبى عامر وابنه المظفر ، وهو معدود بين كبار شعراء عصره وأدبائهم . ومن الطريف أن عبد الملك الجزيرى سارع إلى الرد على أديب مثله هو جعفر بن عثمان المصحفى متكلما بلسان طاغية جبار ؛ فأرادت المقادير أن يلقى نفس المِيتة على يد عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبى عامر ، إذ أنه مازال يسعى حتى وصل إلى الوزارة أيام المظفر ، ودفعه حقده على عيسى بن سعيد القطاع ، أكبر وزراء المظفر ، إلى التآمر على هذا الأخير مع فتاه الصقلبى طَرَفة ، ففشل فيما سعى إليه وقبض على طرفة وعليه ، وأودع نفس المطبق الذى مات فيه جعفر المصحفى ولقى نفس النهاية فى شوّال سنة ٣٩٤ . قال ابن حيان : « أخبرنى أبى خلف بن حسين قال : سألت الذى تولى قتل الجزيرى فى محبسه ، ـ

الآن يا جاهلاً زلّتْ بك القدمُ تبغى التكرمَ لما فاتك الكرمُ ؟
أغريتَ بى مَلِكاً لولا تثبتُه ما جاز لى عنده نُطق ولا كلم
فايأسْ من العيش إذ قد صرت فى طبقٍ إن الملوك إذا ما استُنقموا نقموا
نفسى إذا سخِطتْ ليست براضيةٍ ولو تشفَّع فيك العُرب والعجم

ويقال إن الأبيات لابن أبى عامر . وكلتا الفعلتين من أفعال الجبابرة الذين أطغتهم النعمة ، ونزعت من قلوبهم / الرحمة . [١٢٦-أ]

وللمصحفى لما يئس من المنصور وصفحه :

لا تأمننَّ مِن الزمان تقلُّباً إن الزمانَ بأهله يتقلبُ
ولقد أرانى والليوثُ تخافُنى فأخافنى مِن بعدِ ذاكَ الثعلبُ
حَسْبُ الكريم مذلةً ونقيصةً ألا يزالَ إلى لئيمٍ يَطلبُ
وإذا أتت أعجوبةٌ فاصبرْ لها فالدهرُ يأتى بعدُما هو أعجبُ

وله :

لى مدةٌ لا بدَّ أبلغُها فإذا انقضتْ أيامُها متُّ
لو قابلتْنى الأُسْدُ ضاريةً ـ والموتُ لم يُقدَرْ[1] ـ لما خِفتُ
فانظر إلىَّ وكن على حذرٍ فبمثلِ حالكَ أمسِ قد كنتُ

= فجعل يصف لى سهولة ما عاناه منه لقَضَافَته وضعف أسره ، ويقول : « ما كان الشوْءُ إلا كالفَرُّوج فى يدى ، دقت رقبَته بركبتى ، فما زاد أن نفخ فى وجهى » ، فعجبت من جهل هذا الأسود » . الذخيرة لابن بسام ، القسم الرابع — المجلد الأول ، ص ٣١ — ٣٦ .

(١) فى الذخيرة (القسم الرابع المجلد الأول ، ص ٥١) :

* والموت لم يَدْنُ لما خِفت *

وفى نسخة أخرى : لم يقرب .

١٠١ — محمد بن عبد الله بن أبى عامر
الحاجبُ ، المنصورُ أبو عامر

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر بن الوليد ابن يزيد بن عبد الملك المعافرى ، أمير الأندلس فى دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله ، والغالب عليه . أصله من الجزيرة الخضراء ، ولسلفه بها قدر ونباهة ، وقدم قرطبة شابًّا ، فطلب بها العلم والأدب وسمع الحديث . وكان أبوه — أبو حفص عبد الله — قد سمع الحديث أيضاً ، وصحب أبا محمد الباجى الراوية فى الأخذ عن الشيوخ بقرطبة ؛ وقد ذكرتُه فى كتابى الموسوم بـ « التكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال »[1] .

وكانت للمنصور همة ترمى به المرامى ، ويحدث نفسَه بإدراك معالى الأمور ، ويزيد فى ذلك حتى كان يحدِّث من يختص به بما يقع له من ذلك ، فتم له مرادُه . وكان أحد أعاجيب الدنيا فى ترقِّيه والظفر بتمنِّيه : تصرَّف أولَ أمره فى الوكالة لصبح أم هشام ، والنظر فى أموالها وضِياعها ، والجد ينهض به ، والأقدار تساعده . إلى أن توفى الحَكم وقُلد هشامٌ الخلافةَ وهو صغير .

ولما انتقض العدو على إثر ذلك ، وخيف الاضطراب ، ولم يكن عند المصحفى

---

(١) راجع ترجمة أبى حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر المعافرى والد المنصور محمد بن أبى عامر فى تكملة الصلة لابن الأبار رقم ١٢٥١ جـ ١ ص ٤٣٧ ، وقد قال فيه بعد أن ذكر شيوخه : « ورحل إلى المشرق فأدى الفريضة ، وكان من أهل الدين والخير والصلاح والزهد والقعود عن السلطان ، أثنى عليه الراوية أبو محمد الباجى وقال : كان خير صديق أنتفع به وينتفع بى ، وأقابل معه كتبه وكتبى ، ومات منصرفه من حجه ، ودفن بمدينة طرابلس المغرب ». وذكر أيضاً أنه مات برقادة آخر خلافة الناصر .

غَناء ولا دفاع ، ضَمِن محمد بن أبي عامر لصبح أم هشام سكونَ الحال وزوالَ الخوف واستقرارَ المُلك لابنها ، على أن يُمَدَّ بالأموال ويُجعلَ إليه قودُ الجيوش ، إلى ما كان بيده من الخطط السنية . وهو — بقوة نفسه وسعادة جَده — / [١٢٦-ب] يَعِدُ النصر ولا يمترى فى الظهور ، ويستعجل الأسباب المعينة على الفتح ، حتى أُسعفَ ولقى العدو فهزمه . ووالى غزوَ بلاد الروم عالىَ القدم ، منصورَ العلم ، لا يُخفق له مسعًى ولا يؤوب دون مغنم — كَرةً بعد أخرى — إلى أن صار صاحب التدبير ، والمتغلبَ على جميع الأمور . فدانت له أقطار الأندلس كلها ، وأمِنتْ به ، ولم يضطرب عليه منها شىء أيامَ حياته ، لحسن سياسته وعظم هيبته .

وكان ربما أنذر خاصته بما يكون وراءه من الفتن ، حتى ليكدِّر عليهم مجالس أنسه بما يلقى من ذلك إليهم ، فوقع الأمر على ما توقع ، وجرى القدر بما قدر على ذلك . فما زال يبطش بأعدائه ، ويستقط مَن فوقه بقهْره واستيلائه ، إلى أن صار الخليفةُ حينئذ — هشام بن الحَكم — ليس له من الأمر غير الاسم خاصة ، فما ظنك برجاله ومواليه الذين منهم[1] كان يرهب وبهم كان يتمرس ؟ هذا ونصرته على النصارى متوالية ، وغزواته فى كل صائفة متصلة ، أزيد من خمسين — عدَّها ابنُ حَيَّان فى كتابه الموضوع فى أخبار الدولة العامرية[2] ، وجعله لمن شاء خَزَلَه عن تاريخه الكبير أو ضمه إليه — حتى أذعن له ملوك الروم ورغبوا فى مصاهرته . تناول ذلك كلَّه بتأييد إلهى مدة طويلة ، وأورثه بنيه وقتاً قصيراً .

فأما أبو مروان عبد الملك المظفر منهم ، فقام بالدولة مقام أبيه ، وأغنى فى غزو

---

(١) كذا فى الأصل ، والأصح هنا : الذين بهم كان يرهب .

(٢) فى الأصل : الناصرية ، ولم نسمع أن ابن حيان كتب كتابا خاصا عن عبد الرحمن الناصر ، ولكن الثابت أن له كتاباً فى أخبار سقوط بنى جهور يسمى « البطشة الكبرى » وعنه نقل ابن بسام ما أورده فى « الذخيرة » من تاريخ محمد بن أبى عامر .

العدو ، إلا أن مدته لم تطل . وبلغت الأندلسُ فى أيامه نهاية الكمال ، وكان على أهلها أسعدَ مولود . حكى ابنُ حَيّان عن زعيم المنجمين على عهد الحَكم[1] ، أنه نظر فى مولد عبد الملك هذا وهو طفل ، فأشار مِن بَعد سعادته إلى أمرٍ كبير لم يدرك هو آخرَه ، فعجبَ مَن شاهَده مِن جودة إصابته ، وذلك أنه قال : « لم يولد قط بالأندلس مولود أسعد منه على أبيه ، وعلى نفسه ، وعلى حاشيته ، نَعم ! وعلى أهل الأندلس طرًّا ، وعلى أرضها طرًّا ، فضلا عن ناسها . وإنها لا تزال كذلك حالَ حياته ، وإذا هلك فما أراها إلا بالضد »[2] ، فكان كذلك .

وأما أبو المطرف عبد الرحمن الناصر أخو عبد الملك ، فإنه وَلىَ الحجابةَ بعده ، فلم يقم إلا يسيراً حتى قام عليه المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، فقُتل وصُلب . وانبعثت الفتنُ على الأثر ، فما خمدت نارُها [١٢٧-١] إلا فى النادر ، / إلى وقتنا هذا — وهو سنة [...][3] أربعين وستمائة . وقد استولى الرومُ فيه على الأندلس بأسرها ، مع الجزائر الشرقية المضافة إليها ، بين صلح وعنوة .

وشؤم عبد الرحمن الناصر[4] هو الذى جرّ افتراقَ الجماعة ، وجرّأ على خلعان الطاعة ؛ وعلى رِجله كان الفسادُ العام ، لما استشرف إلى الخلافة ، واستقل خطةَ الحجابة ، ولم يرض إلا بالإمامة . فداخل هشاماً المضعوف ، وطالبَه بأن يجعله ولىَّ عهده ، ويلقى إليه بجميع أمره ، فاستفتى فى ذلك فقهاءَ قرطبة وعلماءها

(١) هو أحمد بن فارس البصرى المنجم زعيم الصناعة بها على عهد الحكم ، كما قال ابن بسام راوياً عن ابن حيان — فى الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٥٩ .

(٢) نقل ابن الأبار ذلك عن ابن حيان . راجع المرجع السابق ، ص ٥٩ — ٦٠ .

(٣) أسقط الناسخ هذا الرقم سامحه الله . . كان هذا يحدد لنا تاريخ كتابة الحلة السيراء بالضبط .

(٤) المراد عبد الرحمن بن أبى عامر الذى اتخذ لنفسه لقب الناصر ، ويلقب أيضاً بالمأمون .

حينئذ ، فسوّغوا له ما طلب واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » — وكان ابن أبي عامر معافريًا قحطانيًا — فقالوا : عسى أن يكون الذى وَعد به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وجدَّ فى ذلك السعى الخبيث أبو العباس بن ذكوان[1] القاضى وأبو حفص ابن برد الكاتب[2] ، حتى قال فيهما ابن أبي يزيد المصرى :

---

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموى ، قاضى الجماعة بقرطبة على أيام المنصور محمد بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر بن أبي عامر وأخيه عبد الرحمن بن أبي عامر ، وهو أول الموقعين على الوثيقة التى استصدرها عبد الرحمن بن أبي عامر لهشام المؤيد بتوليته العهد للخليفة هشام المؤيد . وقد أثنى عليه معظم من ترجموا له (الضبى ، رقم ٤٢٥ ص ١٧٤ والنباهى : المرقبة العليا ، ص ٨٤ وابن سعيد فى « المغرب » ، رقم ٢١٠ جـ ١ ص ١٤٤ وأعمال الأعلام لابن الخطيب ، ص ٤٩) . وأسرة بنى ذكوان أسرة فقه وقضاء ، وقد علت منزلته عند عبد الرحمن بن أبي عامر حتى قلده الوزارة إلى جانب القضاء ، وكان يكتب عنه : من الوزير قاضى القضاة ، وهو أول من كتب عنه بذلك من قضاة الأندلس . وقد ظل جليل القدر إلى وفاته فى ٢١ رجب سنة ٤١٣ . وأبو محمد ابن حزم يتنقصه وينقده نقداً شديداً .

(٢) أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الكاتب ، المعروف بابن برد الأكبر . ذكر الحميدى فى الجذوة (بتحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ١٣٧٢) أنه كان مولى لأحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد ، أديب وشاعر اشتهر بأسلوبه المسجوع المثقل بزينة اللفظ ، ويعتبر من أوائل من أدخل هذه الطريقة فى الأندلس . وقد شارك فى السياسة وخدم المنصور ابن أبي عامر وابنيه عبدالملك وعبد الرحمن ، وعلا أمره فى أيام هذا الأخير حتى وصل إلى الوزارة . لم يقدم لنا الذين ترجموا له شيئاً نافعاً عن حياته ، ولكن الحميدى يذكر أنه لقيه مراراً زائراً لأبي محمد على بن أحمد بن حزم وأنه توفى سنة ١٠٢٧/٤١٨ ، ونسب إليه الحميدى كتباً فى علوم القرآن ، وذكر له ابن بسام معاصره كتاب « سر الأدب وسبك الذهب » ونقل فقرات طويلة منه ومن شعره ، ومن كلامه فى أغراض شتى .

أنظر : ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ص ١٩ وما بعدها .
ياقوت ، معجم الأدباء (طبعة أحمد فريد رفاعى ، القاهرة) ٥/٤١ — ٤٣ .
الضبى ، بغية الملتمس ، ص ١٥٣ (كلاهما نقل كلام الحميدى دون زيادة)
ابن سعيد ، المغرب : ١/٨٦ وتعليق الدكتور شوقى ضيف .

إن ابن ذكوان وابن بردِ قد ناقضا الدينَ بَعْدَ عمدِ
وعاندا الحق إذ أقاما حفيد شَنْجُه[1] ولىَّ عهدِ

ولم يقم كذلك إلا أربعةَ أشهر — فى ما ذكر الحُمَيدى وغيره — واختل أمره وأسلمته الجيوش ، فكان من خبره ما تقدم ذكره .

وكان مولد المنصور محمد بن ابى عامر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وفيها كانت الهزيمة العظيمة بالخندق[2] على عبد الرحمن الناصر ، فأخذ الله بثأر

---

(١) إشارة إلى ما هو معروف من أن أم عبد الرحمن بن محمد بن أبى عامر كانت بنت شانجه الثانى ابن غرسية الأول ابن شانجه الأول وهو الملقب بأباركا ملك نبارة Sancho Garcés II (Abarca) . وقد أسلمت هذه الأميرة بعد زواجها بالمنصور وتسمت باسم عَبْدة ، وأنجبت عبد الرحمن حوالى سنة ٣٧٤/٩٨٤ ، وأطلقت عليه — تدليلا — مصغر اسم أبيها ، أى سانشويلو Sanchuelo (بالعربية شنجول) . وقد أعقبت هذا الزواج هدنة بين قرطبة والبشكنس ، وأقبل سانشو جارثيس فى زيارة رسمية لحميه فى قرطبة فى سبتمبر سنة ٩٩٢/رجب ٣٨٢ .

وقد ذكر ابن الخطيب فى أعمال الأعلام (ص ٦٣) شانجو غرسيس هذا وقال : المعروف بـ « رِى فرجه » Rey Abarca .

انظر : تعليق الدكتور مكى على القصيدة رقم ١٠٧ من ديوان ابن دراج ، ص ٣٩٥ .
ابن عذارى ، البيان المغرب (بتحقيق ليڤى پروڤنسال) ج ٣ ، ص ٣٨ و ٤٢ .
ابن الخطيب ، أعمال الأعلام (بتحقيق ليڤى پروڤنسال) ص ٧٩ .

Dozy, *Recherches* (3e édition) I. 188-192.

LÉVI — PROVENÇAL, *Histoire de l'Espagne Musulmane* (2e éd, Paris, 1950) II, 241 - 242, 292.

(٢) دارت معركة الخندق بضعة أيام ، ولكنها بلغت ذروتها وتقرر مصيرها فى ١١ شوال ٣٢٧/ أول أغسطس ٩٣٩ عند مدينة شنت مانقش (سيمانقاس Simancas) وقد سميت باسم الخندق بسبب خندق كان عبد الرحمن الناصر قد أمر بحفره تحت أسوار سيمانقاس حتى يحصر عنده قوات العدو الهاربة فى حالة الهزيمة . وكان عبد الرحمن قد احتفل بالاستعداد للمعركة احتفالا ضخما وحشد لها نحو ١٢٠ ألف جندى وسماها لهذا « غزاة القدرة » لأنه عول على أن يجعلها قاضية على رذمير الثالث Ramiro III ملك ليون . ولكن معظم جيش المسلمين كان من المتطوعة والقوات غير النظامية ، ثم حدث خلاف بين قادة الجيش من الأندلسيين وصقالبة عبد الرحمن ، ولهذا فعندما شدت قوات ليون على المسلمين فى اليوم الأخير للمعركة تراجعوا وتخاذل بعضهم وولوا الأدبار ، حتى إذا وصلوا إلى الخندق تساقطوا فيه وقتلوا =

الإسلام على يدى المنصور ، وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . خرج غازياً ، وقد وقع فى مرضه الذى مات فيه ، فاقتحم جليقية من تلقاء مدينة طليطلة ، ومرضُه يخف وقتاً ويثقل أوقاتاً ، وقويت عليه العلة بأرض قشتيلة ، فاتُّخذ له سرير من خشب يُحمل على أعناق الرجال ، قطع بذلك أربعة عشر يوماً ، حتى وصل إلى مدينة سالم ، فوجه ابنه عبد الملك ليخبر هشاماً بما ترك عليه أباه ، وتوفى ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة . قيل : ودفن بمدينة سالم وقبره بها ؛ وكان عليه مكتوباً :

آثارُه تُنبيك عن أخبارِهِ حتى كأنك بالعِيان تراهُ
تالله لا يأتى الزمانُ بمثلـــه أبداً ، ولا يحمى الثغورَ سواهُ

/ وعلى ما كان عليه من الهيبة والرهبة ، فقد كان له حلم واحتمال ، مع محبة [١٢٧-ب]
للعلم و إيثار للأدب و إكرام لمن ينتسب إليهما . يحكى أن أبا محمد الباجى الراوية دخل عليه وقال : « أصلحك الله يا حاجب ، وحفظك ووفقك وأحسن عونك » ، فرد عليه ابنُ أبى عامر أجملَ رد ، و بجّله ووقّره وأدنى مكانَه حتى أقعده إلى جانبه ، وقال له : « كيف أنت اليوم وحالك ؟ » فقال له : « بخير ما كنت به »[1] ثم قال له الباجى : « أى والدٍ كان لك رحمـــة الله عليه ! كان والله

= بالألوف ، وأسرع عبد الرحمن ناجياً بنفسه فى قل الجيش . وتلك هى المعركة الوحيدة التى خسرها عبد الرحمن الناصر ، وكانت آخر غزوة غزاها بنفسه .

انظر : الأخبار المجموعة ، ١٥٥ - ١٥٦ .

نفح الطيب (طبعة أوربا) ١/٢٢٨ .

ابن عبد المنعم الحميرى ، الروض المعطار ، ٩٩ - ١٠٠ .

DOZY, *Recherches*, I, 166 - 170.

LÉVI - PROVENÇAL, *op. cit.*, 56 - 59.

والمراجع الوافية المعطاة فى هذين المرجعين .

(١) الأصل : فكنت به .

— ما علمتُ — من أهل الخير والعافية ، والصلاح والعفة ، والحرص على الطلب والمعرفة . اختلف معى إلى محمد بن عمر بن لبابة ، وإلى أحمد بن خالد ، وإلى محمد بن فُطَيْس اللبيرى وغيرهم . وكان لى خيرَ صديق وصاحب : أنتفعُ به ، وينتفعُ بى ، وأقابلُ معه كتبَه وكتبى[1] . ولم يكن فضولياً البتة . وأما أنت فلم تمتثلْه ، وأدخلْتَ يدك فى الدنيا ، فانغمستَ فى لُجِّها . وطلبتَ الفضول ، فعلمتَ أخباراً كثيرة[2] ، وأوبقت نفسك والله يا مغرور ، وعزَّ علىَّ انتشابك » ، فقال له ابنُ أبى عامر : « يا فقيه ، هكذا صاحب الدنيا : لا بد أن يخاط خيراً بشر ، ويأتى معروفاً ومنكراً ؛ والله يتوب على من يشاء برحمته » . وسأله الباجى إثر هذا رفع الغرامة عن ماله بإشبيلية ، فأمر بإسقاطها ، ووصله ببدرة دراهم كاملة ، ومنديل كسوة[3] تشاكله ، فيها خلعة تامة . ومن شعره يفخر :

رميتُ بنفسى هولَ كل عظيمةٍ وخاطرتُ ، والحر الكريمُ مخاطرُ
وما صاحبى إلا جنان مشيعٌ وأسمر خطى وأبيض باترُ
ومن شيمى أنى على كل طالبٍ أجودُ بمالٍ لا تقيه المعاذرُ
وإنى لزَجّاء الجيوش إلى الوغى أسود تلاقيها أسود خوادرُ
لَسُدْتُ بنفسى أهلَ كل سيادة وكاثرتُ حتى لم أجد من أكاثرُ

---

(١) أورد ابن الأبار هذه الفقرة فى ترجمته لأبى حفص عبد الله بن محمد بن أبى عامر (رقم ١٢٥١ جـ ١ ص ٤٣٧) ، وقد ذكرناه فى تعليقاتنا آنفاً .

(٢) انظر عن نظام الجاسوسية الذى وضعه المنصور : أعمال الأعلام لابن الخطيب (بتحقيق ليڤى پروڤنسال ، بيروت ١٩٥٦) ص ٧٦ — ٧٧ .

(٣) الأصل : منديل كشره ، والصواب ما أثبتناه . وليس المراد بالمنديل ما نريده به اليوم فى الاستعمال الجارى ، وإنما قطعة قماش كبيرة توضع فيها الأشياء وتلف ، والمراد أنه أعطاه كسوة لائقة به ملفوفة فى منديل . انظر عن استعمال اللفظ فى هذا المعنى

DOZY, *Dictionnaire detaillé des noms des vêtements chez les Arabes*, Amsterdam, 1845, p. 416.

وما شِدْتُ بنياناً ، ولـكن زيادة على ما بنى عبدُ المليك وعامرُ
رفعْنا المعالى بالعوالى حديثَهُ وأورثناها فى القـــديم مَعافرُ

قال ابن حَيّان : هذا لأنه محمد بن عبد الله ، ونسبه كما تقدم . قال : وعبد الملك جده هذا هو الداخل إلى الأندلس / مع طارق بن زياد ، مولى موسى [١٢٨-١] ابن نصير ، فى أول الداخلين من المغرب ؛ وهو فى قومه وسيط .

وقال الحُمَيدى : قال لى أبو محمد على بن أحمد — يعنى ابن حزم — الفقيه : كان المنصور أبو عامر محمد بن أبى عامر مَعافِرِىَّ النسب من حِمْيَر ، وأمه تميمية وهى بُرَيْهَةَ بنت يحيى بن زكرياء التميمى المعروف بابن بُرْطال ، ولذلك قال فيه أحمد بن دَرّاج — هو أبو عمر القسطلى — من قصيدة له فيه :

تلاقت عليه من تَميمٍ ويَعْرُبٍ شموسٌ تَلالاَ فى العلا وبدورُ
من الحيرين الذين أكفُّهمْ سحائبُ تهمى بالندى وبحورُ[1]

وللمنصور — لما اشتد سلطانه وتوالى ظفره — وكتب به إلى صاحب مصر يتوعده :

مَنعَ العينَ أن تذوقَ المناما حُبُّها أن ترى الصَّفا والمَقاما
لى ديون بالشرق عند أناسٍ قد أحلوا بالمَشْعَرَين الحراما
إن قَضَوْها نالوا الأمانى وإلا جعـــلوا وزنها رقاباً وهاما
عن قريبٍ ترى خيولَ هشامٍ يبلغُ النيلَ خطوُها والسـ

وله :

ألم ترنى بِعتُ الإقامةَ بالسُّرَى ولِينَ الحشايا بالخيولِ الضوامرِ ؟

---

(١) راجع ديوان ابن دراج ، بتحقيق الدكتور مكى ، ص ٣٠١ .

تبدَّلتُ بعد الزعفرانِ وطِيبِه صدا الدِّرع من مستحكمات المسامرِ
أرونى فتًى يحمى حماىَ وموقفى إذا اشتجر الأقرانُ بين العساكر
أنا الحاجب المنصور من آل عامرٍ بسيفى أقُدُّ الهامَ تحت المغافر
تِلادُ أمير المؤمنين وعَبدُهُ وناصحُه المشهودُ يومَ المفاخر
فلا تحسبوا أنى شُغلت بغيركم ولكنْ عَهدتُ[1] الله فى قتل كافر

وأهدى المنصور إلى أبى مروان عبد الملك بن أحمد[2] بن شُهَيْد الوزير عقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار — وقد سأله ذلك عند صدره من بعض غزواته — وكتب إليه معهن يداعبه :

قد بعثنا بها كشمسِ النهار فى ثلاثٍ من المَها أبكارِ
فاجتهدْ واتَّئد فإنك شيخٌ خفىَ الليلُ عن بياض النهار[3]
[١٢٨-ب] /صانك الله عن كَلالك فيها فمن العـــار[4] كَلَّةُ المسمار

فافتضهن أجمع فى ليلته ، وكتب إليه :

قد فضضنا ختامَ ذاك السِّوار[5] واصطبغنا من النجيع الجارى

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى يتيمة الدهر لأبى منصور عبد الملك الثعالبى (طبعة محيى الدين ، القاهرة ، بدون تاريخ) ، ٢/٦٢ :

* ولكنْ أطعتُ اللهَ فى كل كافر *

(٢) الأصل : عمر بن شهيد وهو خطأ ، وقد صوبت الاسم من الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ ص ١٦ ، وقد وردت نفس الأبيات هناك ، ص ١٨ — ١٩ . وقد سبقت ترجمته .

(٣) الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ :

فاتئـد واجتهـد فإنك شيخ قد جـلا الليلَ عن بياض النهار

(٤) الأصل : الصدر ، والتصويب من الذخيرة .

(٥) كذا فى الأصل وفى مخطوط الذخيرة ، وقد صوبه المحققون إلى : الصوار .

ونعمنا فى ظـــل أنعم ليل ولهـــونا بالدر أو بالدرارى[1]
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ذى مضاء عضب الظُّبى بتارِ
فاصطنِعْه ، فليس يُجزيك كفراً واتخِذْه سيفاً على الكفارِ

قال ابن حَيّان : وكانت حجابة المنصور خمساً وعشرين سنة ، وعمره خمساً — أو ستًّا — وستين سنة .

١٠٢ — عبد الله بن عَمرو بن أبى عامر ، أبو حفص

كان أبوه عمرو — وهو الملقب بـ « عَنْكلاجة » — صاحب المدينتين[2] فى أيام هشام المؤيد ، بتقديم ابن عمه المنصور محمد بن أبى عامر . ثم وَلى بلادَ المغرب بعد ذلك فاشتد سلطانُه هنالك ، واستنزل حسنَ بن القاسم العَلَوى الإدريسى وأنفذه إلى الأندلس . وكان صارماً مهيباً جباراً قاسياً[3] ، وقتلَه[4] ابنُ عمه المنصور بتنقصه إياه وغضِّه منه وتسَخِّيه عليه احتجانه الأموال دونه

(١) الذخيرة :

وصَبَوْنا فى ظـــل أطيب عيش ولعبنـــا بالدر أو بالـــدرارى

(٢) أقام المنصور بن أبى عامر ابنَ عمه عمرو بن عبد الله بن أبى عامر على مدينة قرطبة عقب توليه هو الشرطة العليا لكى تتم له السيطرة على شؤون الأمن والحراسة فى العاصمة ، وكان محمد بن أبى عامر قد سلك فى حكومة المدينة سياسة العنف والشدة حتى أقر الأمن فيها ؛ ثم استناب عن نفسه ابن عمه هذا فسار سيرته (ابن عذارى، البيان : ٢/٢٦٦ — ٢٦٧) وعند تمام بناء مدينة الزاهرة أقامه عليها ؛ فأصبح يلقب بصاحب المدينتين .

(٣) كان ذلك فى الغالب سنة ٣٧٥ ، وقد روى ابن عذارى إرسال المنصور جيشا كثيفاً فى تلك السنة إلى المغرب للقضاء على ماكان يحاوله حسن بن كنون من الخروج عن طاعة الأمويين كما سبق أن رويناه . وحسن بن القاسم المذكور هنا هو حسن بن كنون بن القاسم ، وقد قتله المنصور غدراً بعد أن استسلم على أمان وقبل أن يذهب إلى قرطبة . البيان المغرب : ٢/٢٨١ .

(٤) أى قتل عَمراً أبا المترجم له هنا .

[بعد أن][1] استقدمه من المغرب ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة .

ومن شعر أبى حفص هذا يذم المظفرَ عبدَ الملك ، لما زوَّج « حبيبة » بنت ابن عمه عبد الله بن يحيى بن عبيد الله بن أبى عامر — وهى بنت أخته « بُرَيْهَة » — من عبد الملك بن قند مولاهم :

عـــربىٌّ مزوِّجٌ عبدَه بنتَ أختهِ
قبَّح الله فعلَ ذا ورماه بمقتـــهِ

وقد قيل إنهما لعبد الملك بن يحيى ، أخى عبد الله بن يحيى المذكور .

١٠٣ — زياد بن أفلح
مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد

كان من وزراء الدولة العامرية وكبار رجالها ، وتوفى فى أولها سنة ثمان وستين وثلاثمائة — ذكر ذلك ابنُ حَيّان فى تاريخه الكبير ، وذَكر فى « الدولة العامرية »[2] أنه كان على المدينة ، وأن جُؤذُراً الفتى الحكمى تحيَّن ركوبَ

---

(١) أضفت هاتين الكلمتين للسياق .

(٢) إشارة إلى كتاب ابن حيان الخاص بالدولة العامرية ، وهو المعروف بـ « البطشة الكبرى » وقد احتفظ لنا بأجزاء منه ابن بسام فى الذخيرة (قسم ٤ مجلد ١) ص ٣٩ وما بعدها ، وابن الخطيب فى أعمال الأعلام (بيروت ١٩٥٦) ص ٤٨ وما يليها ، وابن عذارى فى البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٥٣ وما يليها . ولكن ما ينقله ابن الأبار هنا لا يوجد فى أى من تلك المراجع . وله لهذا أهمية كبرى ، رغم إيجازه . وإليك تفصيله :

بعد أن استقر الأمر على أن يظل هشام المؤيد خليفة بعد أن تخلص جعفر المصحفى ومحمد بن أبى عامر من المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ، شعر صقالبة القصر وعلى رأسهم الفتيان =

زيادٍ هذا إلى داره بطرف المدينة ، حين توصّل إلى هشامٍ المؤيد ، عازماً على الفتك به ، عند مداخلته الجماعةَ الذين اجتمعوا على خلعه ، بتدبير عبد الملك ابن القاضي منذر بن سعيد صاحب خطة الرد ، فبُطش بجُوْذُر / وقُبض عليه بمبادرة [١٢٩-أ]

جوْذر وفائق بأن الأمر صار فى الحقيقة إلى المصحفى وابن أبى عامر ، تعاونهما صبح أم المؤيد . فأخذا يعارضان هذا الثالوث الذى استأثر بالحكم . وتنبه ابن أبى عامر لخطر الصقالبة ، فما زال يضايقهم حتى استصدر من هشام أمراً بعزل جوْذر وفائق عن رياستهما ، فعرضا الانصراف عن القصر مع أتباعهما فأجيبا إلى ما طلبا وانتقلا إلى دورهما فى المدينة . وكان يلى المدينة إذ ذاك زياد بن أفلح المترجم له هنا ، وكان فى الباطن من الناقمين على الثالوث الحاكم المتوجسين شراً من ابن أبى عامر.

وبعد أن تمكن محمد بن أبى عامر من إسقاط جعفر المصحفى والانفراد بالحجابة سنة ٣٦٧/ ٩٧٨تبين لجوْذر وفائق وشركائهما أنه لابد من معاجلة ابن أبى عامر ، فدبروا فى السنة التالية مؤامرة ترمى إلى أقصاء هشام المؤيد عن الخلافة والمناداة بحفيد لعبد الرحمن الناصر يسمى عبد الرحمن ابن عبيد الله . وقد اشترك فى المؤامرة زياد بن أفلح وعبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطى ، وكان يلى خطة الرد فى قرطبة ، والشاعر يوسف بن هارون الرمادى . وفشلت المؤامرة ، وخاف زياد بن أفلح أن يفتضح أمره فألقى بزملائه المتآمرين فى السجن . ويفهم من رواية ابن الأبار أن جوْذراً لم يسجن ، وحاول أن يغتال زياد بن أفلح انتقاما منه على الصورة الواردة فى النص . ولم يوفق جوْذر فى ذلك لأن أحمد بن محمد بن عروس (ويبدو أنه كان يتولى وظيفة كبرى من وظائف الشرط) قبض عليه ، فأسرع زياد بن أفلح — وكان فى داره — مخافة أن يتكلم جوْذر ويفضحه ، ولكن يبدو أن هذا تكلم ، ولهذا وبخ ابن عروس زياد بن أفلح « وتعاونا فى النازلة » أى على كتمان الأمر . وقد قتل عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عقب ذلك . أما عبد الملك بن منذر فقد اتهم بالزندقة والاعتزال ، وأفتى عليه بآية الحرابة كما يقول ابن الأبار ، فأشار زياد بن أفلح بصلبه تقرباً لابن أبى عامر ، فصُلب عند باب السدة فى منتصف جمادى الثانية ١٨/٣٦٨ يناير ٩٧٧ . وتوفى زياد بن أفلح بعقب ذلك . أما الشاعر الرمادى فقد هرب واختفى حتى عفا عنه المنصور.

انظر: طوق الحمامة لابن حزم ، طبعة ليون برشير مع ترجمة فرنسية (الجزائر ١٩٤٩) ص ١١٤ — ١١٥ .

ASIN PALACIOS, *Abenmasarra y su escuela, en Obras Escogidas*, 1, 124.

LÉVI - PROVENÇAL, *op. cit.* II, 216 - 218.

بالإضافة إلى المراجع المذكورة فى أول هذا التعليق .

أحمد بن محمد بن عروس إلى تلافى الأمر . قال : ووافى زياد على إثر ذلك فو بخه ابن عروس ، فأخذ فى الاعتذار وتعاونا على النازلة ، وما سَلم زياد من التهمة . وحُكى أن عبد الملك بن منذر فى هذه القصة — لما أفتى عليه بآية الحرابة ورَد إلى الخليفة الأمر فيما يختار له من العقوبة — أشار صاحب المدينة زياد بن أفلح هذا بأن يُصلب ، استبلاغاً فى المثلة — يبغى بذلك التقرب إلى ابن أبى عامر ونفى التهمة عنه — فعمل برأيه ، وذلك فى سنة سبع وستين وثلاثمائة . وزياد هو القائل :

وأصبحتِ الدنيا بأوْبتك الرضا لدىّ وَصلِ صافٍ لقفا الصَّدِّ
ولِمْ لا ، ودهرى كلُّه بك مونقٌ ؟ أرقُّ — إذا ما شئتَ — من طُرَّتى بُرْدِ

١٠٤ — فَرْحُون بن عبد الله
يُعرف بابن الوَبْلة[1]

وهو محمد بن عبد الله بن عبد الواحد ، ويُشهَر بفَرْحُون . كان والياً على شنترين بغرب الأندلس ، فى أيام الحَكم المستنصر بالله أو ابنه هشام المؤيد بالله ، وقدم عليه أبو عمر يوسف بن هارون الرمادى منتجعاً ، فأمر بإنزاله ، فقصَّر به متولِّى ذلك ، فكتب إليه الرمادى :

أيها العارض والمُهْـ ـدِى لمستسقيه وَبْلاَ
حين لا يهدى إذا ما أمْـ ـنُسْقِىَ العارض طَلاَّ

(١) الأصل : الدبَّله ، والتصويب من دوزى ، ص ١٥٥ .

قائداً أفنت مغازيـ ـه العِدا سبياً وقتـــلا
إنَّ ضيفاً قاصداً قد ـ ـت له : أهلا وسهلا
قد توسعت له فيـ ـه ما يَسُرُّ الضيفَ نُزْلا[1]
ما له فرش على الأر ـ ض سوى وجه مُصَلَّى
فأنا لولا [اصطبار][2] ردَّ منه الوعرَ سهلا
لم تجـد عيني لنومٍ بمبيتِ السوءِ كَحْلا

فوردت الأبيات على فرحون وهو خارج إلى الغزو ، فخجل من ذلك ، وأمر له بما طلب ، وقرن ذلك بجارية ، وكتب إليه معتذراً من التقصير :

أيها الســـيد أهلا بالذى أهديتَ أهـــلا
ما يُناوِيك مُنـــاوٍ إن وصلتَ القولَ وصلا
شاعراً نَدْباً نبيـــلا محسناً جِـــدًّا وهزلا
ما تولَّى الشعرَ إلا ردَّ منه الوعرَ سهلا
شِعرُه سَحٌّ ووَبْلٌ إذ يكون الشعرُ طَلاّ
محكَمٌ غضٌّ بديعٌ لا يكادُ الدهرَ يَبْلَى
/فله ما قلتُ أهـــلا ثم رحباً ثم سهلا [١٢٩-ب]
أيها السـيد مهلا بأخيك المحضِ ، مهلا[3]
إن شكواكَ إلينا ولَّدَتْ فى النفس خَبْلا
ونفَتْ نومى فلمـــا تكتَحِل عيناىَ كَحْلا

(١) قرأها دوزى : خزلا ، وصوبها إلى : خذلا .
(٢) بياض بالأصل ، وقد أكملته بما يناسب الوزن والمعنى .
(٣) الأصل : أهلا ، ولكن السياق والمقابلة مع الشطر الأول يقتضيان هذا التعديل .

ما على عمدٍ ولكنَّ (م) ـا جَهِلْنا الأمرَ جهلا
وظَنَنّا بالعكازى[1] إنه أكرمُ بذلا
فابسُطَنْ عذرى وإن لم أكُ لِلأعذارِ[2] أهلا
يا أخى أنت ومولًى وقليلٌ لك مولَى
قد بعثنا بفراشٍ فاهجرنْ وجهَ المصلَّى
ووصلناه بغَيْدَا ءَ كبدرٍ يتجلَّى
فتفضَّلْ بقبولٍ لا عدمتَ الدهرَ فضلا
ووَرَا ذلك منى سترى فضلا وفضلا

وله أيضا :

يارسولى أبلِغْ إليها شكاتى واستَنِلْها ولو بقاءَ حياتى
قل لها : قد قضى هواكِ عليهِ فهو ميت ، أو مؤذنٌ بالماتِ
فالْحَظِيهِ تَرَىْ إذا شئتِ مَيْتاً كان يحيا بأيسر اللحَظاتِ
واعجبى أن تكونَ لحظةُ عينٍ منكِ تُهدى الحياةَ للأمواتِ

١٠٥ — على بن وَداعة بن عبد الودود السلمى ، أبو الحسن

قال فيه الحُمَيْدى : أميرٌ كان قريباً من الأربعمائة . وقال ابن بسام ، وذكر صاعداً اللغوى : انتهت به الحال إلى أن أُغرِم ، فاستغاث علىّ بن وداعة ، أحدَ الفرسان الأبطال ، ونبهاء الدولة كان فى ذلك الأوان . قال : ومن شعره فيه :

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعله اسم الشخص الذى وُكِلَ إليه إنزال الشاعر والحفاوة به .

(٢) الأصل : فابسطن عذرى وإنى لم أكن للأعذار أهلا
والبيت على هذه الصورة مختل الوزن ، وقد أبدل دوزى (ص ١٥٧) كلمة « للأعذار » بـ « للعذر » ، وما أثبتناه أصلح وأقوم .

أبا حسنٍ ، ربيعةُ من سُلَيْمٍ سِنانٌ زانَ عاليـــةَ الرماحِ
وإنى عائذٌ بك من هناةٍ[1] تَحُشُّ دعائمى تحت القِداحِ
فكُرَّ على ابن عمك وانتشِلْهُ فليس حِمى ابنِ عمك بالمباحِ
فإن الجار عندك بين جَنبَيْ عُقابِ الدَّجْنِ كاسرةِ الجناحِ
نظنك طالعاً ببنى سُـــلَيْمٍ عليها عند مفتضَحِ الصباحِ
إذا ساورتَ قَرْنَك فى مِكَرٍّ جعلت له ذراعَك كالوشاحِ

ومن شعر ابن أبى وداعة :

زار الحبيب فمرحباً بالزائرِ أهلا بِبدرٍ فوق غصنٍ ناضرِ
/قبَّلتُ من فرحى ترابَ طريقِه ومسحتُ أسفلَ نعلِه بمحاجرى [١٣٠-١]
وخشيتُ أن يَنْقَدَّ إخمصُ رِجلِهِ من رقةٍ فبسطتُ أسْودَ ناظرى

---

(١) فى الأصل بالتاء المفتوحة ، وصحتها كما أثبتناه . والهناة الداهية ، وقد حسب ناشرو الذخيرة أنها مستعملة هنا جمعاً لأنهم قرأوا الكلمة الواردة بعدها نَحتَتْنَ . وصحة قراءتها كما هى هنا.
انظر : الذخيرة (قسم ٤ مجلد ١) ص ٣٨ .

وقد روى ابن بسام فى الذخيرة (نفس المرجع ص ٣٧ وما بعدها) تفصيل ما جعل صاعدا يستغيث بعلى بن وداعة ، وخلاصته أن صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادى ساءت حاله بعد العز الذى كان فيه أيام المنصور ، و« طولب فى أخريات تلك الدولة ، وانتهت به الحال إلى أن أُغرم فى خبر طويل » ناستغاث بعلى بن وداعة شعراً ونثراً ، فا انتفع بعلى بن وداعة ، ولاكانت فيه شفاعة ، فتوجه إلى الخليفة هشام يرجوه معاونته ، ثم قُتل ابن وداعة ولم يبق عند صاعد أمل ، إذ اضطربت الأحوال وارتجت الفتنة وضاع أمر صاعد « بين غلاء السعر ورخص الشعر » . ورفض رجال هشام المؤيد أن يأذنوا لصاعد فى مبارحة الأندلس خوفاً من لسانه ، فخرج مستخفياً ولجأ إلى أبى زيد البكرى صاحب جزيرة شلطيش سنة ٤٠٣ ، ومن هناك ذهب إلى صقلية حيث تحسنت حاله ، ثم عاد إلى الأندلس ليأخذ أهله وعياله ، ومدح الخليفة المستعين فلم يظفر منه بطائل ، فعاد إلى صقلية وتوفى فيها سنة ٤١٠ .

١٠٦ – يَعْلَى بن أحمد بن يعلى

كان أبوه من رؤساء الدولة الأموية وقوادها الجِلَّة ، وكان يَعْلَى هذا فى دولة المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر . ومن شعره ، وقد بَعث إليه بورد مبكر :

بعثتُ من جَنتى بوردٍ غضٍّ له منظرٌ بديعُ
قال أناس رأوْهُ عندى : أعجلَه عامُنا المُريعُ
قلتُ : أبو عامرِ المعلَّى أيامُه كلُّهـــا ربيعُ

وتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . وله يرثى أبا على البغدادى من أبيات :

أمات العلمَ موتُ أبى علىّ منارِ العِلم والفضل الرضِىِّ
سأبكى بعدَه سرًّا وجهراً كما يبكى الولىُّ على الولىِّ
ولو لم أبكه حزناً ووجداً إذاً ما كنتُ بالرجل الوفىِّ
إذا قلبٌ خلا من حب مَيْتٍ فقلبى ليس عنـــه بالخلىِّ

وله :

إنى هجرتُ الغانياتِ جميعاَ ونزعتُ عن كَلَفى بهنَّ نُزوعاَ
ورفضتُ لذّاتى فصرتُ لناصحٍ بعد الإباية[1] سامعاً ومطيعاَ
ونَهى النُّهى قلبى فأقصر وارعوى واعتاض بعد الـكبرياء خشوعاَ

ورأيتُ رشدى واضحاً بعد العمى فنكصتُ عن غيِّ الضلالِ رجوعاَ
يا حسرةً ساعاتُها ما تنقضِى كيف النجاةُ وقد أسأتُ صنيعاَ ؟

* * *

ومن ملوك إفريقية ورجالهم فى هذه المائة :

١٠٧ — محمد القائم أبو القاسم بن المهدى عبيد الله

/ قد تقدم الاختلافُ فى نسب عبيد الله إلى الحسين بن على ، رِضوانُ الله [١٣٠-ب] عليه ، فمن مُسَلِّمٍ ما ادعاه ومن دافعٍ له فيما حكاه ، وهو الأكثر وهو الأصح والأظهر .

واختُلف أيضاً فى اسم القائم هذا ، فقيل عبد الرحمن وقيل حسن وقيل محمد ، وبهذا الاسم كان يُذكر فى الأمداح[1] ، قال على بن محمد الإيادى التونسى :

أعجبْ بأسطولِ الإمامِ محمدٍ وبحسْنه وزمانه المستغربِ
لبِسَتْ به الأمواجُ أحسنَ منظرٍ يبــدو لعين الناظر المتعجبِ

وتقدم أيضا ذِكرُ وروده المغربَ مع أبيه وما قيل فى تبنِّيه وهو يومئذ

---

(١) أشار إلى الاختلاف فى اسمه محمد بن على بن حَمَّادُه فى كتابه « أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم » (بتحقيق م. ڤوندرهايدن ، باريس — الجزائر ، ١٩٢٧) ص ١٢ ، ورجح أن صحة الاسم محمد واستدل على ذلك بأن أبا القاسم القائم عندما سار إلى المغرب الأوسط فى حياة أبيه فى صفر سنة ٣١٥ لحرب محمد بن خزر الزناتى ومن تبعه من زناتة اختط مدينة المسيلة وسماها « المحمدية » باسمه ، وهذا يدل على أن اسمه محمد ، بخلاف من يقول إن اسمه عبد الرحمن .

حَدَث . ثم بويع له بالخلافة بعد عبيد الله للنصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وأخفى القائم موته[١] سنة .

وكان فى حياة أبيه — على الخلاف فيه[٢] — أظهرَ منه فى خلافته ومصيرِ الأمر إليه : غزا قبل ذلك الإسكندريةَ فى عسكر عظيم فملَكها مع الفيوم وصار فى يديه أكثرُ خراج مصر وضيَّق على أهلها وحاربه مؤنسٌ الخادم بها . وكان خروجُه من رَقّادة فى سنة إحدى وثلاثمائة ، ولستٍّ بقين من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وَصَله جيشُ حباسة[٣] بن يوسف صاحب المهدى فى مائتى مركب فنزل فسطاطَ مصر والإسكندريةَ ، وقَوِىَ على مؤنسٍ[٤] بالرجال والأموال ، وشخص لحربه فكانت بينهما وقعة قتل فيها خلق من الفريقين ، ثم انصرف حباسة[٥] ومن معه عن الإسكندرية راجعين إلى المغرب بعد هزيمة وقعت على المغاربة .

---

(١) أى أنه أخفى موت أبيه سنة . وقد أشار ابن عذارى إلى حزن القائم على أبيه حزناً شديداً فى ص ٢٠٨ (ج ١) من البيان المغرب .

(٢) أى على رغم الخلاف فى بنوته له . ويحتمل أيضاً أن يكون المراد : على الخلاف فى أمر عبيد الله نفسه .

(٣) الأصل : حباشة ، والأصح ما أثبتناه . وقد كتبه ناشرو « النجوم الزاهرة » حَبَاسة بفتح الحاء ، والأغلب الضم . راجع المناقشة فى ضبط الاسم فى « النجوم » : ٣/١٧٢ .

(٤) مؤنس الخادم القائد العباسى الطائر الصيت ، وقد سماه ابن حمّادُه « مؤنس الخادم الذى يعرف بالفحل أو يدعى المظفر » (ص ١٢) .

(٥) هذا التفصيل من ابن الأبار يحل خلافاً كبيراً بين المؤرخين ، فبعضهم (مثل الطبرى والكندى) يقولون إن القائد كان حباسة بن يوسف ، وبعضهم الآخر (مثل عريب بن سعد وابن خلكان والمقريزى) يقولون إن القائد كان القائم ، وانفرد أوتيخا بالقول بأن عبيد الله المهدى أرسل ابنه القائم بجيش مدداً لحباسة بعد استيلائه على الإسكندرية والفيوم (انظر المناقشة عند حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ ص ١١٣ هامش ١) .

وقد فصل ابن عذارى (البيان المغرب : ١/١٧١ — ١٧٢) أخبار هذه الحملة تفصيلا شافياً ، وذكر السبب فى قتل المهدى لحباسة بن يوسف وعروبة بن يوسف وجميع قرابتهما . وهناك تفاصيل أخرى عن هذه الحملة فى « أخبار بنى عبيد » لمحمد بن على بن حماده ، ص ١١ — ١٢ .

ثم غزا فى حياة أبيه ثانيةً ، وعند وصوله إلى الإسكندرية — وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة — خرج عاملُ المقتدر عنها ودخل الجيزة[1] من أرض مصر فى خلق عظيم .

وكتب القائمُ إلى مكة وإلى مَن حولَها يدعوهم إلى طاعته ويعدهم الجميلَ ، وقال : « نحن أهل بيت الرسول ، ومن أحق بهذا الأمر منا ؟ » ، وضمَّن الكتابَ أبياناً يقول فيها :

أيا أهل شرق الله زالت حلومُكمْ ... أم اصَّدعت من قلة الفهم والأدبْ ؟
فويحاً لكم خالفتمُ الحقَّ والهُدى ... ومَن حاد عن أم الهدايةِ لم يُصِبْ
/ فيا مُعرضاً عنى وليس بمُنصفى ... وقد ظهر الحق المبينُ لمن رغِبْ [١٣١-١] /
ألم ترنى بِعتُ الرفاهـــةَ بالشرَى ... وقمتُ بأمر الله حقًّا وقد وجبْ

فلما وصل إليهم الكتاب بعثوا به إلى المقتدر ، فأرسل إلى أبى بكر الصُّولِى بعد قراءته الرسالةَ والشعر ، فدفع إليه الشعر وقال له : جاوِبه عنه ، فكتب إليه :

عجبتُ وما يخلو الزمانُ من العجبْ ... لقول امرئٍ قد جاء بالمَيْن والكذِبْ

---

(١) الأصل : الجزيرة ، والتصحيح من « القضاة والولاة » للكندى ، بتحقيق روفن جست ، ص ٢٧٥ . والثابت من مراجعنا أن القائم لم يستطع دخول الجيزة ، إذ ظل فيها « تكينُ » عامل مصر حتى وصلت عساكر المهدى ومراكبه فى النيل قادمة من الإسكندرية ، وانتصر تكين على القائم وظفر بمراكبه فى شوال ٣٠٧ ، ثم أقبل إلى مصر مدد بغداد يقوده مؤنس الخادم فى محرم ٣٠٨ ، واستمر القتال بين الجانبين ، وفى أثنائه استولى القائم على الفيوم وجزيرة الأشمونين وعدة بلاد ، فأتت نجدة أخرى من بغداد يقودها جِنِّى الخادم المعروف بالصَّفْوانى ، فكانت بين الجانبين حروب طويلة فى الفيوم والإسكندرية ، ثم انصرف القائم عن مصر إلى برقة عائداً إلى إفريقية ، وعزل تكين عن ولاية مصر فى ١٣ ربيع الأول ٣٠٩ .
انظر : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ٣/١٩٥ — ١٩٧ :

وجاء بملحونٍ من الشعر ناقصٍ فسحقاً له من مدعٍ أفضلَ النسبْ
فمَن أنت يا مَهدى السفاهةِ والخَنا فقد قمتَ بالدين الخبيث وبالريَب

فلم يجيبوه . وهى قصيدة طويلة ، منها فى ذكر الخلفاء من بنى العباس :

ومعتَمِدٍ من بعـــدِهِ وموفقٍ يردُّ من إرثِ الخلافة ما ذهبْ
نوازِلُهم[1] فى كلِّ فضلٍ وسؤددٍ وإن لم يكن فى العَدِّ منهم لمَن حَسَبْ

أنشدها أبو إسحاق إبراهيم بن تميم القيروانى الحصرى فى كتاب « زهر الآداب وثمر الألباب » من تأليفه . وقد أجرى ذِكر الموفق أبى أحمد بن المتوكل ومَدْح ابن المعتز له ، قال : ويلقب بالناصر وبالموفق ، كانت حاله قد ترقّت فى أيام المعتمد إلى غاية لم يبلغها الخليفة[2] . وقد ذكره الصولى فى قصيدته لصاحب المغرب ، وقد اقتص[3] خلفاء بنى العباس من أولهم ، وذكر البيتين . والموفق هذا هو الذى قتل صاحب الزنج القائم بالبصرة ، بعد مواقعات كثيرة ومحاربات شديدة ، وفى ذلك يقول ابن الرومى فى قصيدته الطويلة الجليلة :

أبا أحمدٍ أبليت أمةَ أحمدٍ بلاءً سيرضاه ابنُ عمكَ أحمدُ
حصرتَ عميدَ الزنج حتى تخاذلت قواه وأودى زاده المتزود
فظلَّ ــ ولم تقتلْه ــ يلفظ نفسَهُ وظلَّ ــ ولم تأسرْه ــ وهو مقيَّد
فما رُمتَه حتى استقلَّ برأسهِ مكانَ قناةِ الظهر أسمرُ أجرد

---

(١) الأصل : مواتٍ لهم . والتصويب من « زهر الآداب » للحصرى القيروانى ، بتحقيق زكى مبارك ، ٣/١٩٣ .

(٢) فى « زهر الآداب » للحصرى القيروانى (بتحقيق الدكتور زكى مبارك ، القاهرة ، بدون تاريخ) ، ج ٣ ص ١٩٣ : خليفة .

(٣) فى الأصل : اقتصر ، والتصويب من زهر الآداب ، نفس الجزء والصحيفة .

/وكان صاحب الزنج يدعى الانتماء إلى بيت على رضى الله عنه ، ومنحاه [١٣١-ب] نحا العُبيديون بعدَه ، وينال من بنى العباس نيلَ هؤلاء منهم ، وفى ذلك يقول :

لَهَفَ نفسى على قصورٍ ببغدا دَ وما قد حَوتْه من كلِّ عاصِ
وخمورٍ هناك تُشرب جهراً ورجالٍ على المعاصى حِراصِ
لستُ لابن الفواطم الغُرِّ إن لم أُجلِ الخيلَ بين تلك العِراصِ

وقرأتُ فى كتاب أبى الحسن على بن بحر بن أبى السرور الروحى الإسكندرى أن المهدى عبيد الله سيَّر ولىَّ عهده أبا القاسم ابنَه إلى مصر دَفعتين : الأولى فى سنة إحدى وثلاثمائة ، قال : وعاد فى سنة اثنتين وثلاثمائة ، والثانية سنة ست وثلاثمائة ، وحُكى أنه ملَك الإسكندريةَ فيهما .

وقال غيرُه : فى أيام عبيد الله بَطَل الحجُّ وأُخذ الحجرُ الأسود ، أخذه القرامطةُ وأقام عندهم اثنتين وعشرين سنة إلا شهراً ، وقتل المقتدر ببغداد وأظهر عبيدُ الله عندما بلغه الخبر أن دعاته قتلوه بأمره ، وجلس لذلك مجلساً[1] .

وحَكى الصولى أن الذى قتله رجل من أهل المغرب بربرى يقال له علّيون الصَّنهاجى ، رماه بحربة — وهو على فرسه يُصلح بين الجند — فى ظهره فخرجت من صدره ووقع ميتاً .

وكان « القائمُ » فى حياة عبيد الله القائمَ بالأمور والد[ولة] ، فلما أفضت

---

(١) وردت نفس العبارة فى تاريخ بنى عبيد لابن حمادُه ، فأكلتها منها (ص ١٧) . وما قاله عبيد الله الشيعى لا يستبعد ، والخبر الذى يرويه ابن الأبار عن الصولى بعد ذلك يقوى هذا الاحتمال . ويقويه كذلك ما جاء فى النجوم الزاهرة (٣/٢٣٣) : « وكان غالب عسكر مؤنس (القائد الذى خرج على المقتدر وقُتل المقتدر وهو يحاربه ، وهو نفسه مؤنس الخادم) من البربر ، فلما انكشف عن المقتدر أصحابه ، جاءه واحد من البربر فضربه من خلفه ضربة سقط منها إلى الأرض ، فقال : ويلك ! أنا الخليفة ! ، فقال : أنت المطلوب ! وذبحه بالسيف ، وشال رأسه على رمح . . » .

الخلافة إليه ظهر أبو اليزيد[١] الخارجي مخلد بن كيداد عليه فعجز عن مقاومته ولم يستقل بمدافعته ، فتغلب على البلاد فى جموع البربر الملتفة عليه إلى أن حصره فى المهدية . وأبو يزيد من بنى يَفْرَن[٢] ، ويُقال إن الذى قَتَل فى فتنته أربعمائة ألف . والإنذار به والتحدث بخروجه[٣] بنى « المهديةَ » عبيدُ الله وجعلها دار ملكه وقرار سلطانه . وقال بعد تحصينها وعند انتقاله إليها : « اليوم أمنت على الفواطم »[٤] ، يريد حُرَمه .

وكان قيام أبى يزيد فى آخر خلافة القائم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفى القائم يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من شوال سنة [أربع وثلاثين وثلاثمائة] .

[١٣٢-١] /وكان[٥] القائم وَلَّى ابنَه إسماعيلَ عهدَه وفوضَ إليه أمرَه ، وذلك فى سنة أربع وثلاثين ، وأدخل عليه جماعةً من وجوه كتامة ورؤسائهم فقال : « هذا مولاكم وولى عهدى والخليفة من بعدى ، وهو صاحب هذا الفاسق وقاتله » ، يعنى أبا يزيد[٦] .

وقال ابن حيّان فى تاريخه « المقتبَس من أنباء أهل الأندلس » : وفى العشر الأواخر من ذى الحجة منها — يعنى سنة أربع وثلاثمائة — قدم محمد بن محمد ابن كُليب من القيروان فحكى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعى صاحب المهدية

(١) المشهور « أبو يزيد » بدون أداة التعريف .

(٢) الأصل : يغرن ، والصواب بالفاء كما أثبتناه ، واسمه الكامل كما أورده ابن عذارى (البيان المغرب ، ١/٢١٦) : مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان ابن وُرِيمت بن تبقراسن (فى نسخة أخرى : تنفراس) بن سميدان ابن يَفْسَرَن .

(٣) يقال إن عبيد الله المهدى تنبأ بخروج أبى يزيد بن كيداد ، وأنه بنى « المهدية » لتكون حصناً له ولدولته عند قيامه .

(٤) المشهور أنه قال : « الآن أمنت على الفاطميات » .

(٥) الأصل إن .

(٦) وردت نفس العبارة عند ابن حمادُه فى تاريخ بنى عبيد ، ص ٢١ .

هلك فيها وهو محصور من قبل أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى النكارى المعروف بصاحب الحمار القائم عليه فى جموع البرابرة ، وأن شيعتَه قدَّمت إسماعيلَ ولده ، وأنه فارس شجاع أبى النفس ، أقدم على أبى يزيد وجموعه ولاقاه بمدينة سوسة فانهزم أبو يزيد قُدّامه إلى القيروان ثم إلى سبيبة . زاد غير ابن حيان : وما زال يتبعه إلى أن ظفر به حيًّا وقيذاً بالجراح فمات منها وهو فى أسره ، فأمر به فسُلخ وطيف به .

وإسماعيل المنصور هـذا أبو الطاهر ، وابنه أبو تميم معد بن إسماعيل المعز لدين الله ، كانا خطيبين مفوهين ، ولم أقف لهما على شعر أكتبه فى هذا المجموع ، وسيأتى ذكرهما بعدُ إن شاء الله . وكانت خلافة القائم اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر ، وتوفى وهو ابن خمس وخمسين سنة ومولده بسَلَمِيَة .

١٠٨ — تميم بن معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، أبو على

شاعر أهل بيت العُبيديين غير منازَع ولا مدافَع ، وكان فيهم كابن المعتز فى بنى العباس غزارةَ علم ومَعَانة أدب وحسنَ تشبيه وإبداعَ تخييل ، وكان يقتفى آثاره ، ويصوغ على مناحيه فى شعره أشعارَه . ولّاه أبوه المعز لدين الله معد بن إسماعيل المنصور عهدَه ، وبه كان يُكنى ، فخُلع برأى جوهر الصقلى لأنه كان عقيماً لا يولد له ، ووَلِىَ أخوه عبد الله فتوفى فى حياة أبيه ، ثم وَلِىَ العهدَ أخوه أبو المنصور نزار العزيز بالله ، وانتقلا من إفريقية إلى مصر بانتقال أبيهما معد ابن إسماعيل فى آخر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

وشِعر تميم مدوَّن ، ومحاسنه كثيرة ، وتصرفاته بديعة . ووقع منه فى كتابَىْ

الحصُرى « زهر الآداب وثمر الألباب » و « نُور الطَّرف ونوْر الظَّرف » كل نادر غريب .

[١٣٢-ب] /وكان تميم لما استقر بمصر وتوفى أبوه فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين [وثلاثمائة] ووَلىَ أخوه نزار يمدحه ويداريه طلباً للسلامة منه ، لأنه لم يكن يأمن عاديته[١] بسبب انخلاعه عن العهد . وكذلك كان ابن المعتز يدارى المعتضدَ والمكتفى ابنَه ويمدحهما ويمدح عمه الموفق رغبة فى التخلص منهم ، لأنه كان أهلا للخلافة فعصمه الله بذلك من هؤلاء ، وقُدِّر أن طاح على يدى المقتدر بعد أن بويع له من الليلة التى قبض عليه فى صبيحتها ، ولقب بالراضى بالله — وقيل بالمنتصف بالله — وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين .

ومن شعر تميم فى أخيه نزار :

يا ابنَ الوصىِّ المرتَضَى ، يا ابنَ الإما ... مِ المجتبَى ، يا ابنَ النبىِّ المرسلِ[٢]

ما بال مالِك ليس يرميه الندى ... إلا يوافق منه موضع مقتلِ ؟

أنت المحصَّل[٣] فى زمانٍ أصبحتْ ... أملاكُه كالقول غير محصَّلِ

لو لم تكن فى جحفلٍ لغدوتَ من ... عَزَمات رأيك وحدِها[٤] فى جحفل

عجباً لأبصارٍ تراك ولو درتْ ... مقدارَ فضلِك كن عنك بمعزل

---

(١) فى الهامش بخط مخالف : غائلته .

(٢) راجعت هذه الأبيات على أصل القصيدة كما وردت كاملة فى « ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمى » (دار الكتب المصرية) ١٩٥٧ ، ص ٣١١ وما بعدها ، وقد أورد ابن الأبار مختاراته منها على غير نسقها فى القصيدة ، وهذا البيت والأربعة الأبيات التالية له وردت فى آخر صفحة ٣١٣ وأول ٣١٤ .

(٣) المحصَّل ، كما ورد فى الشروح الضافية المعلقة على متن الديوان : المميَّز ، وأصل التحصيل إظهار اللب من القشر وتمييزه عنه .

(٤) الديوان ، ص ٣١٤ : وحدها .

وهى قصيدة طويلة . ومنها فى وصف فرس له يدعى السرور :

نعم المعين على الوغى فى مأزقٍ ... لَبِسَتْ به الأبطالُ نَقْعَ القَسْطَلِ (١)
فرسٌ أشَمُّ (٢) المَنْكِبَيْن مُقابِلٌ (٣) ... يرمى الجنادل من يديه بجندلِ
تُنبيك (٤) عن أنسابه أعضاؤهُ ... حُسناً ، وعن أُخراه عِتقُ الأوَّل
وكأنما مبيضُّ أعلى وجهِهِ ... وجبينه ضوءُ الصباحِ المقبل
وكأنَّ دَفَّةَ [سَرجه ولجامهِ] (٥) ... [شُدّا] (٦) على ظهر السِّماك الأعزل
ويسابق البرقَ [المُثارَ بخَطوِه] (٧) ... ويَزيدُ فيه على الصبا والشَّمْأَل
صافى الصهيل كأنَّ [فى ترجيعِهِ] (٨) ... غرد يغنى فى الثقيل الأول
ذو قَوْنَسٍ [مالتْ نواحى عُرفهِ] (٩) ... مستشرِفُ الأعلى رحيبُ الأسفل
وكأنما فَلَقُ الصباحِ بوجهِهِ ... ماء بدا مترفقاً فى جدول

---

(١) هذا هو مطلع القصيدة كما وردت فى الديوان ، ص ٣١١ ، وعنوانها هناك : وقال يمدح الخليفة العزيز بالله ، ويصف فرساً يدعى « السرور » .
والمأزق : الموضع الضيق الذى يُقتتل فيه ، والنقع : الغبار الساطع المرتفع ، والقسطل : الغبار فى الحرب .
(٢) الأشم : العالى المرتفع .
(٣) مقابل : كريم النسب من أبويه ، أصيل فى طرفيه .
(٤) الأصل : تغنيك ، والتصويب من الديوان (ص ٣١١) .
(٥) لم يرد من هذا الشطر فى الأصل إلا : وكان ذو ، فصححته وأكملته من الديوان (ص ٣١٢) .
(٦) ساقطة فى الأصل .
(٧) ساقطة فى الأصل .
(٨) لم يرد من هذا الشطر فى الأصل إلا الكلمات الثلاث الأولى ، هكذا : صافى الصهيل كأنه .
(٩) وهذا أيضاً لم يرد منه إلا الكلمتان الأوليان ، هكذا : ذو قوس .
والقونس : أعلى الرأس ومقدمه ، وقونس الفرس : ما بين أذنيه ، وهو عظم ناتئ بينهما .

وله يمدح أخاه :

ألسنا [بنى] بنتِ النبيِّ الذى به ... تخلَّص من زَيْغِ العمى الثقلانِ[1]

أليس أبونا خِـدنَه ووصيَّه ... وفارسَـــه فى كل يومِ طِعانِ

فكُفُّوا بنى العباسِ عنا جِماحَكُم[2] ... فقد طالما خُتِم بكل مكان[3]

[١٣٣-١] / متى لم تكونوا دونَنا وتُسابقوا ... بصالحنا[4] فى كل يوم رهان

بمَن نُصر الإسلامُ فى يومِ خيبرٍ ... ويومَ حُنينٍ والقنا مُتَـــدان ؟

أليس علىٌّ كان كاشفَ غَمِّها ... وما كان للعباس ثَمَّ يَدان

ومَن فرَجَ الغَمّاء عن وجه أحمدٍ ... بمكةَ لما رِيعَ كلُّ جَنان

فبات على ظهر الفراش بديلَه ... يقيه ردى الأعداء غيرَ جبان

وكم مثلها من مفخر وفضيلة ... حواها علىٌّ وهو ليس بِوَانِ

وإن[5] قلتمْ إنا جميعاً لهاشمٍ ... فما تستوى[6] فى الجُثّة العَضُدان

فلِمَ[7] تدفعون الحقَّ والحقُّ واضحٌ ؟ ... دنا منكم ما كان ليس بدان

أمية كانت قبلَـكم فى اغتصابها ... أحقَّ ، فبادت[8] وارتدَت بَهوان

---

(١) اختار ابن الأبار هذه الأبيات من قصيدة لتميم فى مدح أخيه العزيز مطلعها :

دعانى ، فليس الرأى ما تريـــان ... نهانى الحجا من كل ما تصفـــان

وقد ورد المصراع الأول من هذا البيت فى الأصل محرفاً هكذا :

* ألسنا بيت النبى الذى به *

(٢) الأصل : جماكم .

(٣) ورد هذا الشطر فى الديوان ، ص ٤٤٩ هكذا :

* فقد آن أن نغزو بكل مكان *

(٤) الديوان : لصالحنا .

(٥) الديوان (ص ٤٥٠) : فإن .

(٦) الديوان : يستوى .

(٧) الديوان : فكم .

(٨) الديوان : فبارت .

أخذتم بغصبٍ إرثَنا وصعدتمُ ... منابرَ ما كانت لكم بأمانى[1]
وجئتم بأسماء يروق استماعُها ... وألفاظِ حُسنٍ ما لهن معان :
رشيدٌ ولم يرشَدْ ، وهادٍ وما هَدَى ... لحقّ ، ومأمونٌ بغير أمان
ومعتصمٌ لم يعتصم بإلهِهِ ... ومقتدرٌ لم يقتدرْ ببيان
ومعتضدٌ بالإفكِ خاب اعتضادُه ... ومنتصرٌ بالبَغْيِ غير معان
أصيخوا فقد قام « العزيزُ » الذى له[2] ... تذلُّ خطوبُ الدهر بعد حِران
كأنَّ رواقَ العزِّ[3] من نَوْر وجهِهِ ... سماء بدا فى أفقِها القمران
أغرُّ كنصلِ السيفِ يُمضِى اعتزامَه ... بكل رقيقِ الشفرتين يَمان
كأنّ المنايا والعطايا نوافلٌ ... يجود بها من مُنْصُلٍ وبنان
حويتَ أبا المنصور كلَّ فضيلةٍ ... وأمسكتَها دون الورى بعِنان
كأنك فى سماك إذ قمتَ خاطباً ... وأعيُنُنا طرًّا إليك رَوَانِ
شبيهُ نبىِّ اللهِ جدِّك أحمدٍ ... ويشبهُ فرعُ البانةِ الغُصُنان
وكم عَلَوِىٍّ فاطمىٍّ مفضَّل ... ولكنهمْ ما فيهمُ لك ثان
ومن يدَّعى منهم مكانَك فى العلا ... فقد جاء بالبُهتان والهذَيان
إذا ما كفاك اللهُ ما أنت متَّقٍ ... شفانىَ مما أتقى وكفانى
وإنى لسهمٌ من سهامك ماطرٌ[4] ... على كل من عاداك سُمٌّ سِنان
/ أراك بعينِ النصحِ فى كل حالةٍ ... على كل ما فيه[5] اعتقدت ترانى [١٣٣-ب]

---

(١) الأصل : بأمان ، والتصويب من الديوان .
(٢) الديوان : [الذى] به .
(٣) الديوان : الملك .
(٤) الأصل : قاطر ، والتصويب من الديوان ، ص ٤٥١ .
(٥) الديوان : فيك .

ومن ذا الذى يرعاك رعياً تودُّه[١] على كل غيثٍ أو بكل عيان[٢]
أخ وولىٌّ مشفق وابنُ والدٍ شفيقٌ ومـــدّاحٌ بكل لسان[٣]

وكان العزيز يُوالى إكرامه ويُجزل عطاءه ويعامله بما قتله[٤] علماً من صدق وده وإخلاصه فى مدحه .

ويحكى أنه تنزه إلى « بركة الحَبَش » فلما قرب من قصور أخيه تميم سأل عنه ، فأسرع إليه مَن عرَفه ، فخرج راجلا حافياً حتى لقيه ، فسلم عليه بالخلافة ، وقال : « يا أمير المؤمنين ، قد وجبت على عبدك الضيافة » ، قال : « نعم » ، ودخل إلى بستانه وقد أمر بجَنِيبةٍ من الجنائب التى كانت بين يديه ، وأقسم على تميم أن يركبها ويسايره ، فلما توسط البستان نظر إلى ثمر يلوح الذهبُ عليه ، فتعجب منه واستطرفه ، ودنا من شجرة فأخذ منها ليمونة واحدة ، فقرأها وإذا عليها مكتوبٌ بالذهب :

أنا الليمونُ قد غُذِيَتْ عروقُ ببردِ الماء فى حرزٍ حريزِ
حَسُنْتُ فليس يَحْسُنُ أن يُحَيَّى بأمثالى سوى الملكِ العزيزِ

فجعلها فى كمه وقال : هـــذه ضيافتى عندك . وانصرف إلى قصره فبعث إلى أبى جعفر بن مهذب[٥] صاحب بيت المال ، فقال له : « ما عندك من الدنانير ضرب هذه السنة ؟ » — وكان ذلك فى أولها — فقال له : « مائة ألف وستون

---

(١) الديوان : عنى بوده .
(٢) فى الأصل : عيانى .
(٣) فى الأصل : لسانى .
(٤) كذا فى الأصل ، والمعنى مفهوم رغم نبو كلمة « قتل » هنا ، إذا صحت قرائن لها .
(٥) ورد الاسم فى الأصل : جعفر بن مغرهب ، وجعلها مولر : قرهب . وقد غلب على ظنى أن المراد هنا هو أبو جعفر بن حسين (أو أبو جعفر جسين) بن مهذب ، وقد ذكره المقريزى (الخطط ٢/١٦٤ ، واتعاظ الحنفا ، ص ١٣٩) ووصفه بأنه صاحب بيت المال أيام المعز . والغالب أنه استمر على هذه الوظيفة أيام ابنه العزيز .

ألفاً » ، فأمره بحملها من ساعته إلى الأمير تميم مع راشد العزيزى ، وقال له : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : استعن بهذا على مؤونتك . فقبَّل الأرض وبعث إليه من الغد قصيدة حسنة يمدحه فيها ويشكره .

وكانت أيام العزيز بمصر أعياداً ، رفاهيةً ودعةً وتمهُّداً . فكان تميم إذا جاء الليل أمر مائتى فارس من عبيده بحراسة الناس الخارجين فى أيام النيروز والميلاد والمهرجان وعيد الشعّانين وغير ذلك من أيام اللهو التى كانوا ينحون فيها على أموالهم رغبة ويخرجون إلى بركة الحَبَش متنزهين ، فيضربون عليها المضارب الجليلة والسرادقات / والقباب ، ومنهم من يخرج بالقِيان والمُسْمِعات والمخدَّرات ، [١٣٤-أ] وخيلُ تميم تحرسهم فى كل ليلة إلى أن ينصرفوا ويركب تميم فى عُشاري[١] تتبعه أربعة زوارق وأكثر ، مملوءة فاكهة وطعاماً ومشروباً ، فإن كانت الليالى مقمرة وإلا كان معه من الشمع ما يعود به الليل نهاراً ، فإذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتاً أمرهم بإعادته ، وسألهم عما ينقصهم فيعطيهم ، وربما رغبوا إليه أن يُسمعهم من غنائه ، فيقف عليهم ويأمر من يغنى لهم ، وينتقل عنهم إلى غيرهم فيفعل هذا عامةَ ليله ، ثم ينصرف إلى قصوره وبساتينه على هذه البِركة ، فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضى هذه الأيام ويفترق الناس[٢] .

ولتميم يفخر :

---

(١) العشارى طراز من السفن متوسطة الحجم كان يستعمل فى الأنهار والبحار للرحلات الصغيرة . وقد تلحق بالسفن الكبيرة لتكون قوارب نجاة ، وقد ورد ذكرها عند المقريزى والنويرى وابن جبير وابن بطوطة وعبد اللطيف البغدادى ، أى أنها كانت معروفة فى الشرق والغرب على السواء ، وعن العرب أخذها الأوربيون ، فسميت فى إيطاليا باسمها العربى **usciere** (أوشيرى) وفى إسبانيا **esquife de nave** . ويبدو أنها سميت عشاريات لأنها كانت تتسع لعشرة أشخاص .

انظر : دوزى ، ملحق القواميس : ٢/١٣٠ .

(٢) روى هذا الخبر بنصه المقريزى فى الخطط : ٣/١٤٥ .

لا تُبطر السراء لى خلقاً ولا أغدو على ضرائها متخشعاً
لى فى المشارق والمغارب جولةٌ يغدو بها قلبُ الزمان مصدَّعاً

وله :

ليَهْنِ المعـــالى أننى أنا ربُّها وأنى إذا مارُمتُ صعباً تيسرَا
غذتنى ـ مذ كنتُ ـ النبوةُ والهدى فحسبيَ أن كانا هُما لىَ عُنصرا

وله :

وإنى لألقى كلَّ خطب بمهجةٍ يهون عليها منـه ما يتصعَّبُ
وأستصحبُ الأهوالَ فى كل موطنٍ ويُمزج لى السمُّ الزعافُ فأشربُ
فما الحرُّ إلا مَن تَدَرَّع حزمَه ولم يك إلا بالقَنا يتنكب[1]
خليليَّ ما فى أكؤسِ الراح راحتى ولا فى المثانى لذتى حين تُضرب[2]
ولـكننى للمدحِ[3] أرتاحُ والعلا وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومَن بين جنبيه كنفسى وهِمتى يُرجِّى له[4] فوقَ الـكواكب مركب

وله فى التشبيه :

علِّلانى بها فقد أقبل الليـ ـلُ كلونِ الصدودِ من بَعد وَصلِ

---

(١) الأصل : يتكسب ، والتصويب من يتيمة الدهر للثعالبى ، ١/٤٢٧ . وقد وردت فى الديوان أيضاً : يتكسب (ص ٤١) .

(٢) كذا أيضاً فى مخطوطتين مما اعتُمد عليه فى نشر الديوان ، وفى الباقى : تُطرِب ، وقد أخذ المحققون بهذه الرواية الأخيرة .

(٣) الديوان (ص ٤٢) : للمجد ، وهو أجود .

(٤) الديوان : يروح له ، وقد وضعها المحققون بين قوسين ، للدلالة على أنهم لا يرتاحون لهذه القراءة .

وانجلى الغيمُ بعد ما أضحكَ الرو ضَ بكاء السحابِ فيه بوَبْل
عن هلال كصَولجان نُضارٍ فى سماء كأنها جامُ ذَبْل[1]

[١٣٤-ب] /وله :

[رب صفراء علَّلتنى] بصفرا ءَ ، وجنح الظلامِ مُرخى الإزارِ[2]
وكأنَّ الدُّجى غدائرُ شَعرٍ وكأن النجومَ فيها مَدارِى[3]

وله :

وانجلى الغيمُ عن هلالٍ تبدَّى فى يد الأفق مثلَ نصف سِوارِ

وله :

كأن السحاب الغر أصبحن أكؤساً لنا ، وكأن الراحَ فيها سنا البرق
إلى أن رأيتُ النجمَ[4] وهو مغرِّبٌ وأقبل رايات الصباح من الشرق
كأن سوادَ الليل والصبحُ طالعٌ بقايا مجالِ الكُحل فى الأعين الزُّرق

وله :

ما ترى الليلَ كيف رقَّ دُجاهُ وبدا طيلسانُه ينجـــابُ

---

(١) الذبل (كما ورد فى شروح الديوان ، ص ٣٣٨) عظام ظهر دابة بحرية يتخذ منها الأسورة والأمشاط والخواتم وغيرها .

(٢) لم يرد من الشطر الأول من هذا البيت إلا «بى صفرء» ، فأكلته وقومته من الديوان (ص ١٨٣) ، وقد ورد الشطر الثانى من هذا البيت هكذا :

* ءَ وجنح الظلام جـون الإزار *

وفى نسخة أخرى: مُرخَى الإزار.

(٣) ورد لفظ «مدارى» فى الأصل دون ياء ، وقد قومته من الديوان (ص ١٨٣) . وورد فى هامش الديوان المطبوع : المدارى جمع مدراة ، وهى المشط .

والبيتان من قصيدة فى الغزل ، وقد ترك ابن الأبار بين البيت الأول والبيت الثانى بيتين وردا فى الديوان .

(٤) الأصل : النجوم ، والتصويب من الديوان .

وكأنَّ الصباحَ فى الأفقِ بازٌ والدجى بين مخلبيه غرابُ

وله :

ألا سَقِّنيها[1] قهـــوةً ذهبيةً فقد ألبسَ الآفاقَ جُنحُ الدجى دَعجْ
كأن الثريا والظلامُ يحفُّها[2] فصوصُ لجينٍ قد أحاط بها سَبَجْ
كأن نجومَ الليلِ تحتَ سوادِهِ ـ إذا جَنَّ ـ زنجىٌّ تبسم عن فَلَجْ

وله :

كأن كؤوس الشَّرْبِ وهى دوائرٌ قطائعُ ماء جامدٍ تحمل اللهبْ
فبتنا نَسَقِّى الشمسَ والليلُ راكدٌ ونقرُب من بدر السماء وما قرُبْ
وقد حجب الغيمُ الهلالَ كأنهُ ستارةُ شَرْبٍ[3] خلفَها وجهُ مَن نُحِب
كأن الثريا تحت حُلكة ليلِها مداهنُ بِلَوْرٍ على الأفقِ تضطرب

وله :

خذها إليك ـ ودع لومى ـ مُشَعْشَعَةً من كفِّ أحْوَى[4] أسيلِ الخدِّ مُذهبِهِ
وانظر إلى الليل كالزنجى منهزماً والصبحُ فى إثرِهِ يعدو بأشهبِهِ
والبدرُ منتصِفٌ[5] ما بين أنجمِهِ كأنه مَلِكٌ فى صـــدر موكبِه

وله :

أوفَى فأشرقتِ البـــلادُ لنورِهِ حُسناً وأرسلَ بالشفاء رسـولا[6]

---

(١) الديوان (ص ٨٦) : ألا سَقِّيانى .
(٢) الديوان (ص ٨٦) : يحفُّها .
(٣) الديوان (ص ٦٢) : سِرْبٍ ، وشرحها الناشرون ، هامش ٥ ، هكذا : ويعنى بها جماعة .
(٤) الديوان (ص ٧١) : أقنى .
(٥) الديوان (ص ٧١) . منتصب .
(٦) هذه الأبيات غير واردة فى الديوان .

/ما كنتُ أحسِبُ أنَّ بدراً قبلَها نقل الخُطى كرماً وعاد عليلا [١٣٥-١]
يا علةً زار الحبيبُ من أجْلهـــا لله أنتِ ، لقد شَفَيْتِ غليلا

وله ، وهو من مختار شعره فى النسيب :

أأعذل قلبى ؟ وهو لى غيرُ عاذلٍ وأعصِى غرامى وهو ما بين أضلعى[1]
ومن لى بصبرٍ أستزيلُ به الجَوى ولا[2] جَلَدى طَوْعى ولا كَبِدى معى
نَأوْا والأسى عنى بهمْ غيرُ مُنْتَأٍ وودعتُهم والقلبُ غيرُ مودِّعِ[3]

وله :

يا مُعطِشى من وصـــــالٍ كنت واردَه
هل فيك لى رحمة إن صِحتُ : « واعطَشى[4] ! » ؟
أنتَ الحياةُ التى تحيا النفوسُ بهـا حقًّا فإن فقدتْك النفسُ لم تعِشِ

توفى تميم فى خلافة أخيه العزيز سنة أربع وسبعين ، وتوفى العزيز سنة ست وثمانين وثلاثمائة[5] .

---

(١) الديوان ، ص ٢٦٧ :

أأعذر قلبى وهو لى غير عاذر أم اعصى غرامى ، وهو ما بين أضلعى

(٢) الديوان : وما .

(٣) الديوان : مودعى .

(٤) هذه الأبيات غير واردة فى الديوان .

(٥) قال ابن خلكان فى الوفيات (١/٢٧٠) إنه « توفى فى ذى القعدة سنة ٣٧٤ ، وزاد العتقى فى تاريخه أنه توفى يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث خلت من الشهر المذكور ، وأن أخاه العزيز نزار بن المعز حضر الصلاة عليه فى بستانه ، وغسله القاضى محمد بن النعمان وكفنه فى ستين ثوباً . . وقال عبد الملك الهمدانى فى كتابه الذى سماه « المعارف المتأخرة » إنه توفى سنة ٣٧٥ والله أعلم . وقال غيرهما إنه ولد سنة ٣٣٧ » .

١٠٩ — خليل بن إسحاق بن ورد ، أبو العباس

مولده بطرابلس وهو من أبناء جندها ، وكان فى أول أمره يطلب العلم والأدب و يصحب الصوفية و يبيت فى المساجد ، إلى أن خالف أهلُ طرابلس بلدِه سنة تسع وتسعين ومائتين ، فكان هو المتولى لعذابهم وأخْذ أموالهم ، وذلك فى أول دولة عبيد الله المهدى . واتَّبع القائمَ أبا القاسم محمد بن عبيد الله المهدى فى مسيره إلى محاربة أهل مصر ، وهو إذ ذاك ولىُّ عهدٍ فلحقه بالإسكندرية ، وكان المتولى لجباية الأموال والنظر فيها ، وانصرف إلى المهدية فقُدِّم على خيل إفريقية ، وكان أمرُ جندها إليه مع النظر فى البحر .

وخرج إلى صقلية والياً على أهلها فأهلكهم جوعاً وقتلا ، وهرب كثير منهم إلى بلد الروم . وكان يقول بعد وصوله إلى إفريقية مفتخراً : « المكثر يقول إنى قتلت وأهلكت ألفَ ألف ، والمقلل يقول ستمائة ألف » . وكان خروجه إليها فى أول دولة القائم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة .

وقد كان المهدى عبيد الله سخط عليه فى آخر دولته فخاف ، ولما توفى أمَّنه القائمُ واستعمله ، فجار أشد الجور ، « ونعوذ بالله من الحور بعد الكَوْر ! »[1] .

[١٢٥-ب] ثم إن القائم/ صرفه عن صقلية واستقدمه منها ، وقدَّمه لحرب أبى يزيد الخارجى ، وأخرجه إلى مدينة القيروان فى ألف فارس من وجوه العبيد ، فأساء معاملتهم حتى أضْغَنهم ، ودبروا عليه . وقصده أبو زيد فدخل القيروان وحصره بداره إلى أن أخذه وأصحابه فاعتقلهم ثم قتلهم جميعاً بباب أبى الربيع وأمر بهم فصُلبوا .

(١) حديث نبوى شريف ، والحور هو النقصان ، والكور الزيادة .

ومن شعره يمدح المهدى ويناقض مروان بن أبى حفصة :

قف بالمنازل واسألنْ أطلالَها ... ماذا يضرُّكَ إن أردتَ سؤالَها ؟
هل أنتَ أولُ مَن بكى فى دِمنةٍ ... دَرَستْ وغيَّرتِ الحوادثُ حالها ؟
يا دارَ زينبَ هل تردِّين البُكا ... عن مقلةٍ سفحتْ عليك سِجالَها ؟
بُدِّلتِ بالإنسِ الخرائدِ كالدُّمَى ... وحشَ الفلاة ظِباءها ورئالَها
ولقد عهدتُ لآل زينبَ حَبْرةً ... فيها ، ودنيا أقبلت إقبالها
بيضاء ناعمةً يجول وِشاحُها ... وتهزُّ دقةُ خصرها أكفالها
ولها قوامٌ كالقضيب وفوقَه ... جَعْدٌ يصافح كفُّه خَلخالها
وكأنَّ فى فيها بُعيدَ رقادها ... عسلاً أصاب من السماء زُلالها
ولقد عصَيتُ عواذلى فى حبها ... والنفسُ تعصى فى الهوى عُذّالها

ومنها :

صلى الإلهُ على النبىِّ محمـــدٍ ... وعلى الإمامِ وزادَه أمثالَها
إن الإمامَ أقام سُنةَ جـــدِّه ... للمسلمين كما حَـــذَوْتَ نِعالها
أحْيا شرائعَها وقوَّم كُتْبَها ... وفُروضَها وحرامَها وحلالهـــا
وهدى به اللهُ البريةَ بعدما ... طلب الغواةُ الظالمون ضلالها
إن الخلافةَ يا ابنَ بنتِ محمدٍ ... حطَّتْ إليكَ عن النبىِّ رحالها

وله وقد افتصد القائمُ :

قل للطبيب الذى أوصى ليفصده ... رفقاً ولا زلتَ بالإسعاد ترتفقُ
/ كيف استطعتَ ترى بالله طلعته ... ومِن سنا نورِه ما يُشرِق الأفقُ ؟ [١٣٦-١٠
أم كيف تُخرج من كفٍّ تقبِّلها ... دماً ومنها بحارُ الجودِ تندفق ؟

إنى لأعجبُ من كفٍّ مَسَسْتَ بها خيرَ الورى كيف لم يَنبُتْ بها الوَرِق

وله عند توديع القائم فى خروجه إلى القيروان وكتب بها إليه :

وما ودعتُ خيرَ الناسِ طُرًّا ولا فارقتُه عن طيبِ نفسِ
وكيف تطيبُ نفسى عن حياتى أفارقُها ، وعن قمرى وشمسى ؟
ولكنى طلبتُ رضاه جَهْدى وعفوَ الله يومَ حلولِ رمسى
فعاش ممَّكناً ما لاح شمسٌ على الثَّقَلين من جنٍّ وإنسِ

و بعد وروده القيروان كان من قتله وصلبه ما كان ، وما أفظع[1] مصرع من احتقب الاثم والعدوان !

١١٠ – جعفر بن فَلاَح[2] الكُتَامى ، أبو الفضل

هذا من رجال الدولة العبيدية ، ولم يقع إلىّ من خبره ما أذكره ها هنا سوى امتداح أبى القاسم بن هانئ إياه ، وحسبه بذلك نباهة وكفاه ، وذكر ابنه إبراهيمَ معه فى مدحه . وفى بعض النسخ التى وقفت عليها من شعر ابن هانئ

(١) الأصل : ولما أفضع .

(٢) الأصل : بَلّاح . وجعفر بن فلاح بن أبى مرزوق قائد مشهور من قواد الدولة الفاطمية فى عهدها الأول ، وكان يعمل أولا تحت إمرة جوهر الصقلى ، وقد بعثه هذا إلى الشام ليقضى على بقايا الإخشيديين ، وكان الحسن بن طغج قد تحصن بالرملة وملكها ، فسار إليه جعفر بن فلاح وهزمه فى ذى القعدة ٣٥٨/ سبتمبر ٩٦٩ وأسره وبعث به إلى الفسطاط ، حيث أرسل إلى المغرب ومات هناك سنة ٣٧١/٩٨٢ . وأخذ جعفر يستعد للمسير إلى دمشق ، فشعر الحسن بن أحمد القرمطى بأن الفاطميين خطر يهدد سلطانه ، خاصة وقد سار جعفر بن فلاح إلى طبرية ثم دمشق ودخلها سنة ٣٥٩ ، وأسقط الدعوة للخليفة العباسى ، وخطب للمعز الفاطمى ، فسار اليه القرمطى والتقى به فى ٦ ذى القعدة ٣٦٠/ سبتمبر ٩٧١ فأسر جعفر وقتل =

أن الممدوح إبراهيم بن جعفر لا أبوه جعفر ، ووجدتُ منسوباً إليه :

ويومٍ كأنَّ الغيمَ تحتَ سمائهِ حكى مقلتى سَحًّا ولم يَحْكِنى ضَنّا
كأنّ الغوادى بالمثانى نضحنهُ وألبسْنَه ثوباً من الخَزِّ أدكنا

١١١ – يحيى بن على بن حمدون الجُذَامى بن الأندلسى[1]

وله ولأبيه ولأخيه جعفر بن على رئاسة معروفة ونباهة فى أيام العبيدية مذكورة ، وعلى بن حمدون هو الذى بنى المسيلة من بلاد الزاب الأكبر وسكنها ابنُه جعفر فعظم شأنه .

ولأبى القاسم محمد بن هانئ الأندلسى فيه وفى أخيه يحيى مدائح شهيرة ، وكان[2] لما خرج من الأندلس إلى بنى علىّ هؤلاء وقع ، وإليهم قصد ، / إلى [١٣٦-ب]
أن أعْلَقُوه بالمعز مَعَدِّ بن إسماعيل فاستفرغ فيه شعرَه وقصر عليه مدحَه[3] .

= وجعفر من زعماء الكتاميين ورجالهم الذين شادوا بناء الدولة الفاطمية . وكان ابنه أبوالحسن على بن جعفر بن فلاح من كبار وزراء الدولة الفاطمية بعد ذلك ، وكان يلقب بوزير الوزراء ذى الرياستين ، الآمر المظفر قطب الدولة .

المقريزى ، اتعاظ الحنفا (بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال) ص ١٥٥ (هامش ٥) – ١٦٧ – ١٨٠ – ٢٤٨ – ٢٤٩ .

ابن منجب الصيرفى ، الإشارة إلى من نال الوزارة (القاهرة ١٩٢٤) ص ٣٠ – ٣٢ .

البيان المغرب لابن عذارى : ١/ ٢٣١ .

(١) الأخبار التى يوردها ابن الأبار هنا تكمل ما لدينا من أخبار بيت بنى حمدون ، ومعظمها عند ابن عذارى (البيان المغرب ، ٣/ ٢٤٢ – ٢٤٤) وابن الخطيب (أعمال الأعلام ، ٦٠ – ٦٢) . وقد نقل ابن عذارى عن محمد بن يوسف الوراق (ص ٢٤٣) نسبهم وطرفا من أوليّتهم فقال إن جدهم الأكبر عبد الحميد كان الداخل إلى الأندلس من الشام ، ونزل فى إلبيرة ، ثم انتقل حفيده حمدون ، جد جعفر ويحيى ، إلى بجاية ودخل فى دعوة الشيعة . انظر بقية الخبر هناك .

(٢) المراد هنا ابن هانئ الشاعر .

(٣) هذه الفقرة ظاهر فيها أسلوب ابن حيان مؤرخ الأندلس .

وهرب جعفر إلى الأندلس بعد مقتل زيرى بن مناد الصِّنْهاجى ، ولحق به أخوه يحيى فأقاما مكرمين عند الحَكم المستنصر بالله إلى أن سُعى بهما إليه ، فسخط عليهما وأمر بإزعاجهما ومَن معهما رَجّالةً من منازلهم إلى المُطبق بمدينة الزهراء ، والنداء عليهم بما كفروا من النعمة . وظهر من شهامة يحيى وتجلُّده فى هذه المحنة ما شُهر ، فكان ينادى على نفسه معارضا للمنادى : « لا ، بل جزاء مَن آثر بنى مروان على وَلَدِ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . ونُمِيَتْ فى الوقت إلى مَعَدِّ بن إسماعيل وهو فى القيروان فأرْضَتْه وعطَّفته على آل على بن الأندلسى .

ثم إن الحَكم عفا عنهما بسعى عبد الملك بن القاضى منذر بن سعيد البَلُّوطِىّ صاحب خطة الردّ وتلطُّفه فى الاستشفاع بهشام بن الحَكم فيهما ، وهو إذ ذاك طفل ، فأطلقا من مُعتقَلهما ، وتراجعت حالُهما .

وحَظِىَ جعفر فى أيام هشامٍ عند المنصور محمد بن أبى عامر — بعد وفاة الحَكم — وخُصَّ به ، ثم قُتِل فى طريقه إلى قصر العُقاب[1] حسْبَما يُذكَر فى آخر هذا المجموع بحول الله ، فرجَّم الناسُ فيه الظنون ، وأظهر ابنُ أبى عامر الحزنَ عليه وهو المتهم به .

---

(١) عندما أراد المنصور بن أبى عامر التخلص من غالب الناصرى قائد الثغر وشيخ الموالى ، فكر فى استقدام جعفر وعلى ابنى حمدون ، وهما من موالى بنى أمية ، وكانا يحكمان منطقة طنجة وسبتة باسم هشام المؤيد الأموى ، فأخذ المنصور يستحثهما على المجىء إليه ، فعبر إليه جعفر منهما ، تاركاً شؤون العدوة بيد أخيه يحيى . وأنزله المنصور عند مجيئه فى قصر العقاب بقرطبة « بعد أن أعد له ما يصلح له فيه » ، وكان جعفر قد أتى بقوة من مقاتلة البربر تبلغ ٦٠٠ فارس ، فاشتد بهم ساعد محمد بن أبى عامر على غالب . وبعد أن تخلص المنصور من غالب ، دبر الخلاص من جعفر بن حمدون ، فدعاه إلى وليمة وقدم له الشراب فأفرط فيه ، وأرصد له من قتلوه وهو عائد بالليل إلى منزله فى قصر العقاب سنة ٣٧٤ ، وقد تظاهر المنصور بالحزن عليه .

ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/٢٨٠ — ٢٨١ .

ودعا يحيى بن على أخاه وألهاه[١] إلى أن قال لابن أبى عامر أولَ لَقْيَةٍ لقيَه غِبَّ قتل أخيه : « قد علمنا مَن قتَله ، وهذا جزاء مِثله ، ولا مُقام بأرضك بعدَه » ، فقال له ابنُ أبى عامر : « لولا أن أصدِّق ظنَّك فى أخيك لألحقتُك به ، فاخرج إلى لعنة الله غيرَ مكلوءٍ ولا مصاحَب ! » ووكل به من أزعجه فخرج إلى العُدوة . وسبق الإخبار عنه حذراً من بَلِقِّين بن زيرى بن مناد فصار إلى سَجلماسة ثم ركب الصحراء إلى مصر ، فقبـــله العزيز بالله أبو المنصور نزار ، وهو يومئذ الخليفة بها ، وأدخله فى يوم زينة ، ثم جعل يعترف بالزلة ، ويسأل الصفح والإقالة ، فقال له نزار : « كلمتُك بالزهراء قد أتيت على ذلك كله »

وعلم بَلِقِّين — واسمه يوسف[٢] ، ويكنَّى أبا الفتوح — نفوذَ يحيى إلى مصر فقامت عليه القيامة ، وعثر على ابن له عامر[٣] تخلف عنه بالمغرب فقبض عليه

---

(١) العبارة هنا مضطربة . وقد ورد اللفظ هنا : ولهه ، فقومته على هذا النحو للسياق . وواضح أن هنا شيئاً ساقطاً ، والمعنى مفهوم على أى حال . فإن المنصور دعا على بن حمدون ليطمئن من ناحيته ، وكان يخشى ثورته عليه وانضمامه إلى العبيديين بعد أن قتل أخاه . ولكن يحيى ظل على إيمانه بأن المنصور قتل أخاه ، فجعل يلمح بذلك . وكان يحيى أكبر من أخيه وأعظم ، وقد سبق أن وفد على الخليفة المستنصر سنة ٣٦٠ خالعاً طاعة العبيديين وقادماً إليه بطاعة زناتة — وكانوا أتباعه — فاستقبله الحكم استقبالا عظيما وولاه العدوة هو وأخاه جعفر ، فظلا هناك إلى أن استعان بهما المنصور ، فقدم عليه جعفر منهما .

ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢/٢٤٣ — ٢٤٤ .

(٢) هو بلقين يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجى القائد المعروف الذى استخلفه الفاطميون على المغرب عند انتقال المعز إلى مصر ، وهو منشئ دولة بنى زيرى فى إفريقية .

انظر عنه : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١/٢٢٨ وما بعدها .

ومن الطبيعى أن يغضب بلقين عندما يسمع أن العزيز نزار قد استقبل خصمه يحيى بن على ابن حمدون زعيم زناتة وعدو الصنهاجيين وأنه عفا عنه وأكرمه بعد الذى كان منه .

(٣) لفظ عامر هنا غير مفهوم ، وقد يكون اسم ابنٍ لجعفر بن على بن حمدون . وقد تكون صحة اللفظ « غامر » بمعنى مغمور .

وقتله . ولم تطل به[1] المسرة بعد قتل جعفر حتى فاجأته المنية ، فهلك فى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

[١٣٧-١] ومن شعر يحيى بن على ، وأنشده أبو عامر السالمى فى كتاب التشبيهات / من تأليفه قوله يصف فرساً :

ومتمّماً فى خَلقِهِ لم يُبْخَسِ عارى الأديم من الملاحة مُكتسِ
صَلَّت إليه الخيلُ فهو إمامها وهو المقدّمُ عندها فى الأنفسِ
وكأنَّ لونَ أديمه من سَوْسَن وكأنَّ لونَ لجامه من نَرْجِسِ

تم بعون الله

الجزء الأول من كتاب

الحلة السيراء

ويليه الجزء الثانى وأوله ترجمة :

سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المستعن بالله ، أبى أيوب .

(١) أى بأبى الفتوح يوسف (بلقين) بن زيرى ، فقد توفى فى موضع يسمى واركنفو فى المغرب فى ٢١ ذى الحجة ٣٧٠ (ابن عذارى ، ١/٢٣٩) .